

الجزء الأول

العلم وخشية الله

محاولة لشرح دور العلم الطبيعي المتاح

حاليا لبعض ما جاء بالقران الكريم

الفصل الأول

الخلق الإلهي

خلق الكون (كون الانفجار العظيم أم فتق الرق...؟)

كون فتق الرق :

إن بداية الخلق والحياة، بصفة عامة، لم تكن مصادفة ولا عشوائية، ولكنها كانت بتدبير وعلي مراحل، أي كانت علي أطوار متعددة علي مر الزمن. وكل نوع من المخلوقات، من ملائكة أو جن أو نبات أو حيوان أو إنسان، كان مستقل في نشأته ومراحل تطوره، من البسيط إلي المعقد، حتي وصل إلي مستواه الحالي، والذي تَوَجَّه الله سبحانه وتعالى بخلق البشر. وقد استغرق هذا حوالي ١٥ مليار من السنين (كما قال العلماء) .

فالله خلق السماوات والأرض وما بينهما طبقاً لقوانين ثابتة وإلى أمد معين (أي إلى موعد قيام الساعة الذي لا يعرفه إلا الله) تفنى بعده :

﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ^١
وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٢﴾ ﴾

(الأحقاف : ٣)

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ^٢ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ^٣ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ^٤
يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾

(الأعراف : ١٨٧)

من البديهيّات أن الله، سبحانه وتعالى، لم يُشهد البشر (أى بنو آدم) والجان والشياطين خلق أنفسهم، ولا كيفية خلق الكون بسمواته وأرضه وما بينهما وما تحت الثرى، ولا حتى خلق الحياة بالأرض، وخلق الكائنات الحيّة، التي لا حصر لعددها من نبات وحيوان وحشرات وإنسان، فلقد كانت سابقة لوجودها :

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾

(الكهف ٥١)

ومع ذلك، يأمر الله سبحانه البشر بالتفكر في الخلق. فالبشر بعقله يمكنه أن يتأمل نفسه وكل هذه المخلوقات التي حوله ليصل بفكره وعلمه المتواضع الى أن الكون لا يمكن أن يكون قد أُوجد كما هو كحقيقة واقعة :

﴿ وَاسْأَلُونَا عَنْ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الإسراء ٨٥)

وكذلك لا يكون قد أُوجد نفسه بنفسه، بل هو شئ مُحدث وله خالق عظيم هو الله، سبحانه وتعالى (كما جاء في القرآن الكريم فى ٢٣ آية ب ١٧ سورة: البقرة: ٢٢، ٧٤، ١٦٤. الأنعام: ٩٩. الرعد: ١٧. إبراهيم: ٣٢. النحل: ١٠، ٦٥. طه: ٥٣. الأنبياء: ٣٠. الحجرات: ٥، ٦٣. المؤمنون: ١٨. النور: ٤٥. الفرقان: ٥٤. فاطر: ٢٧. الزمر: ٢١. فصلت: ٣٩. القمر: ١١، ١٢. المرسلات: ٢٠، ٢٧. الطارق: ٦). ولما كان للخلق بداية ، إذا فله نهاية، وإن أعادته لأسهل على الله:

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
نُعِيدُهُ وَغَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾

(الأنبياء ١٠٤)

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ
النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(العنكبوت ١٩-٢٠)

فالوجود كان قبل خلق الله للكون عبارة عن ماء وفوقه العرش، وخلق الله
السموات المرفوعة والأرض الممدودة، ثم إستوى على العرش. وخلق الليل
والنهار والشمس والقمر والنجوم، وكلها خاضعة لأمره، وتتحرك فى نظام دقيق
وموزون (الأعراف: ٥٤. يونس: ٣. هود: ٧. الرحمن: ٧) منها :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى
الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ
بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾

(هود ٧)

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾

(الرحمن ٧)

فالله يعلم كل ما ينزل من السماء وما يصعد إليها، وما يغوص فى الأرض
وما يخرج منها، وهو عليم بكل مخلوقاته الحية، ومحيط بشئونها. فهو خالق كل
شئ فاعبدوه، لا تراه العيون وهو يعلم دقائق العيون وغير العيون ولا يخفى
عليه شئ :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ ﴾

(الحديد ٤)

﴿ وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ۖ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ۖ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۖ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحْنًا ۖ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۖ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ۖ ﴾

(النازعات ٢٧-٣٢)

﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۖ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۖ ﴾

(الأنعام ١٠٢-١٠٣)

يقول القرآن الكريم، أن السموات (وما بها من أجرام كونية) والأرض كانتا ملتحمتين في كتلة واحدة قوامها دخان ساخن (مكوناته بخار الماء وغازات وتراب) فشققها أو فطرهما الله بقدرته، وخلق من الماء كل الأحياء (أى بعد أن برد الدخان وتكثف بخار الماء إلى ماء). بهذا الوصف البسيط السهل الممتنع، شرح الله في كتابه العزيز، الذى أنزل منذ ١٤ قرنا مضت، كيفية بدء الخليقة (أى خلق هذا الكون الذى نعيش فى جزء صغير منه) بسمواته وأرضه وأحيائها وما بينهما :

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۚ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾

(الأنبياء ٣٠)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مِّثْنَىٰ وَتُلَکْ وَرُبَعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(فاطر ١)



خلق الله الأرض والأجرام الكونية، وكانت جميعها ساخنة لدرجات متفاوتة، ومستعرة لتضئ وتشتع. وسوف يظل بعضها على هذا الوضع غير المستقر الى يوم القيامة، كالشمس والنجوم. أما الأرض والكواكب والأقمار فقد برد سطحها تدريجيا الى تربة يابسة .

توجهت إرادة الله الى السماء وهي دخان، فلم يكتفى بسماء واحدة، بل بنى منها سبع سموات متطابقة كالأسقف المرفوعة المحكمة (أى بناها قوية بعضها فوق بعض) وعلى أبعاد كبيرة (البقرة : ٢٩ . الأنبياء: ٣٢ . النبأ: ١٢) منها :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة ٢٩)

وهو سبحانه قادر على جمعها وإحتوائها على سعتها المتناهية، التي لا يدركها عقل، والمستمرة في الإتساع، وهو كذلك قادر على ترتيبها :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

(الذاريات ٤٧)

خلق الله الليل ظلمة والنهار نورا متعاقبين ومتغيرين طولاً وقصرًا كآيتين من آياته الكثيرة والمسخرة لخدمة أصحاب العقول المدركة لقدرته، والخائفة من غضبه. فنور النهار البارد هو نور الله سبحانه، نحسه ولا نري له شكلاً لانتشاره. وهو غير أشعة الشمس الذهبية الساخنة التي نراها ونحس بها :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَنَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(النور ٣٥)



وظلمة الليل لا تسرى فيها الشمس. لذلك فالشمس تُرى في النهار المُبصر

(آل عمران: ١٩٠. الأنعام: ١) منها :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾

(الأنعام ١)

وخلق كذلك بالسماء الدنيا (أى الأولى) فوق الأرض، الشمس كالمصباح الساخن نهاراً، والقمر نوراً بارداً ليلاً. خلق الله الشمس كأحد مخلوقاته التي أنعم بها على الإنسان، وجعلها ضرورية للأحياء على كوكب الأرض. فلقد هياها الله وسخرها لعباده لكي تكون من أهم مقومات حياتهم بما ترسله من طاقة ودفع وضياء. ولولا الشمس ما كانت هناك مصادر أخرى للطاقة كالرياح، ومصادر المياه، والأخشاب والفحم والبتروك ومشتقاته. وبدونها تنتهي الحياة على الأرض. وللقمر منازل ينتقل فيها متتابعاً ثم متتابعاً، فيختلف شكله ونوره (راجع صورتها فيما بعد). وفي تعاقب الليل والنهار ومنازل القمر يُحسب الزمن، وتُقدر المواقيت وعدد الأشهر والسنين والحساب (الأنعام: ٩٦. التوبة: ٣٦. يونس: ٥-٦. الإسراء: ١٢. النور: ٤٤. الفرقان: ٦١-٦٢. يس: ٣٨-٤٠. الرحمن: ٥) منها:

"فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"

(الأنعام: ٩٦)

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكََ الَّذِينَ أَلْقَمُوا

فِيهِمْ أَنْفُسُكُمْ ۖ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَتِّلُونَكُمْ كَافَّةً ۖ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

(التوبة ٣٦)

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

(يونس ٥-٦)

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿٣٩﴾ ﴾

(الإسراء ١٢)

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٤٠﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٤١﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

(يس ٣٨-٤٠)

﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٤٣﴾ ﴾

(الرحمن ٥)

وبالسماء الدنيا، خلق الله أيضا النجوم المضيئة والكواكب المشرقة لتزيينها، وللهداية إلى الطريق. وخلق كذلك الشهب (وهي نجوم منقضة) لرد شياطين

الجن من إستراق السمع لأخبار الملائكة الأعلى (وخاصة عن الإنسان) وللحفاظ عليه:

﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزَيْنَةٍ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۖ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ دُحُورًا ۖ وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ۖ إِلَّا مَن حَظِيَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۖ ﴾

(الصافات ٦-١٠)

﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۖ فَقَضَنَّهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۖ وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظٍ ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۖ ﴾

(فصلت ١١-١٢)

﴿ وَلَقَدْ زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۖ ﴾

(الملك ٥)

وكل جرم من هذه الأجرام السماوية، يسبح في مسار خاص ومحدود له، وبعيد عن بعضه البعض وبسرعات مختلفة ومعينة، ومحفوظ من الوقوع على الأرض الى يوم القيامة (الرعد: ٢. الأنبياء: ٣٢، ٣٣. الحج: ٦٥. فاطر: ٤١. نوح: ١٦، ١٥) منها :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۖ ﴾

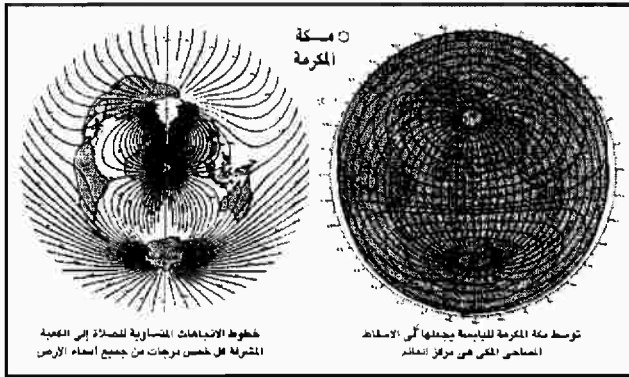
(الرعد ٢)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ
وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ
رَحِيمٌ ﴾

(الحج ٦٥)

يحدث هذا نتيجة قوة جاذبية جسم الشمس للكواكب التي تدور حولها، أو في
فلكها، والتي يساويها ويضادها في الإتجاه القوة الطاردة المركزية لدوران هذه
الكواكب حول الشمس (فتثبتت كواكب المجموعة الشمسية في فلكها) .

إختص الله الأرض فقط (لعلمنا حتى الآن) بسطح معظمه مائي، وقد
ظهر عليه جزء صغير يابس ومرتفع من التراب (يعتقد أنه أرض الكعبة
المشرفة أو مكة) وهو أقدم جزء من القشرة الأرضية الصلبة، ومنه بُسِطت أو
مُدَّت الأرض كلها .



﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ
وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
مُحَافِظُونَ ﴾

(الأنعام ٩٢)

وعن قول المصطفى عليه السلام :

[كانت الكعبة خشعة (أى تل ترابى) على الماء فدحيت منها الأرض]

عن الهروى فى غريب الحديث (٣٦٢/٣) .

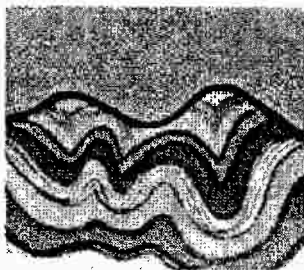
ولقد شطر الله القشرة اليابسة للأرض إلى سبعة أجزاء (أى قارات بلغة عصرنا) وباعد بينها، فتخللها ماء السطح المائى على هيئة محيطات وبحار، كما جاء فى حديث للرسول، صلى الله عليه وسلم، عن ابن عباس وابن مسعود قال :

[أن الله تعالى كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء . فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخان، فارتفع فوق الماء فسماه (أى علا) عليه فسماه - سماء - ثم أبس الماء فجعله أرضا واحدة، ثم فتقها فجعل سبع أرضين فى يومين .]

خلق الله الأرض وما بها من نعم ومنافع، وأرسى (أى غرس) فيها جبالا لتثبتها من الإهتزاز أو الإضطراب :

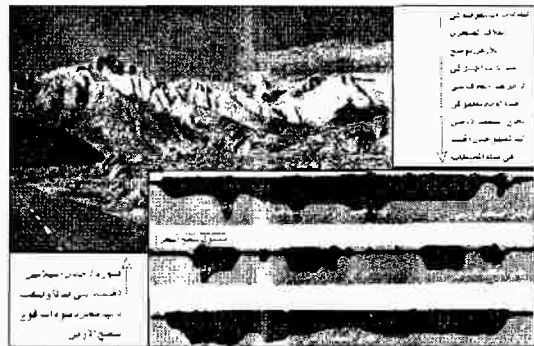
﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ فِيهَا ﴾

(فصلت ١٠)



الطبقات المتنية أو المطوية

تكونت جبال الألب بهذه الوسيلة

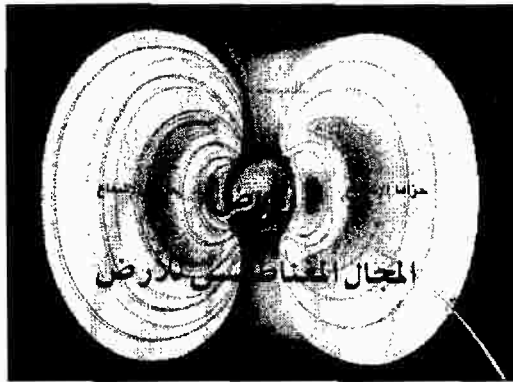


وبسطها وشق فيها أنهارا، وجعل فيها كذلك طرقا ومسالك فسيحة، وأنزل عليها الماء العذب بقدر من السماء على هيئة مطر، وسماه القرآن الكريم "رجع" ١٠٠٠! وأقسم الله به :

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

(الطارق ١١)

لأنه يرجع كل حين بمطر بعد مطر. ولقد أثبت العلم أن هذه التسمية للمطر حقيقة. فحرارة أشعة الشمس تبخر الماء من أسطح البحار والمحيطات والبحيرات. ولما كانت كثافة بخار الماء أقل من كثافة الهواء الجاف البارد (بنسبة ٨:٥) فإن بخار الماء يصعد إلى طبقات الجو العليا، حيث يتكثف ويصير سحباً. ثم يرجع بعد ذلك مطراً إلى سطح الأرض، ليسكن فيها مكوناً البحيرات والأنهار. كذلك يتخلل طبقاتها السفلية، مكوناً المياه الجوفية التي تتفجرون، أو تسحب بواسطة حفر الآبار .



وهناك صور أخرى للرجع منها :

- رد الأصوات الصادرة من الأرض بواسطة غلافها الجوي الغازي (سمكه أو ارتفاعه نحو ١٠٠٠ كم). وكذلك رد الحرارة الصادرة منها، والغازات والأبخرة والغبار المرتفعة منها بواسطة السحب .

- طرد الأشعة فوق البنفسجية الضارة، الآتية مع أشعة الشمس، بواسطة طبقة الأوزون المتواجدة بالغلاف الجوي بعيدا عن الأرض لحماية أحيائها. ونتيجة لذلك يتحلل جزء من الأوزون إلى أوكسجين : $2O_3 \xrightarrow{UV} 3O_2$
- رد الإشارات الراديوية إلى الأرض بواسطة النطاق المتأين (من تأثير الفوتونات المصاحبة لأشعة الشمس) وهو متواجد علي إرتفاع من ١٠٠ إلى ٤٠٠ كيلومترا فوق سطح البحر. وفي ذلك تيسير لعمليات البث الإذاعي والاتصالات الراديوية علي الأرض .
- طرد الأشعة الكونية المهلكة بعيدا عن الأرض لحمايتها بواسطة مجالها المغناطيسي .

إن للماء دوراً أساسياً في خلق وحياة الكائنات الحية، بكل أنواعها وأشكالها وصورها، التي نشأت بالأرض. كذلك يتوقف عليه بقاؤها وحياتها. فمن الماء خلقت، ليس فقط كل دابة تدب زحفاً أو مشياً على الأرض، بل أيضاً كل شيء حي ، نبات كان أم كائنات دقيقة، ولهذا سميت الأرض بالكوكب المائي .

(الرعد: ٤،٣ . النحل: ١٥ . طة: ٥٣ . الأنبياء: ٣١ . لقمان: ١٠ . الزخرف: ١٠، ١١، ١٢ . ق: ٧-١٠ . الرحمن: ١٠-١٢ . نوح: ١٩، ٢٠ . النازعات: ٢٧-٣٣ . عبس: ٢٥-٣١) منها :

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣١﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَبِّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِّبَعْضِهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

(الرعد ٣-٤)

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نَخْرُجُوكَ ﴿١١﴾ ۞ ﴾

(الزخرف ١٠-١١)

لقد أشار القرآن الكريم إلى كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس، وتواجد الليل والنهار والمشرق والمغرب في كثير من السور، مثل : (الرعد: ٣. الشعراء : ٢٨. الزمر: ٥. الرحمن: ١٧، ٣٣. المعارج: ٤٠. المزمل: ٩ . النازعات: ٣٠) منها :

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥٠﴾ ۞ ﴾

(الزمر ٥)

﴿ يَمَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿٣٣﴾ ۞ ﴾

(الرحمن ٣٣)

﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَلَهَا ﴿٣٠﴾ ۞ ﴾

(النازعات ٣٠)

يقال بالمعجم، دحا الشيء دحواً، أى بسطه ووسّعه. وفى حالة الأرض بالذات، ومع سعتها الكبيرة جداً، فإنه من المعروف رياضياً، أن الشيء إذا مَدَّ أو بُسِطَ بسطاً إلى ما لانهاية، فهو يستدير أو يتكور. وبالتالي يكون معنى دحا الشيء،

أى بسطه أو مده . أما معنى دحا الأرض فهو كورها. والدحية بالريف تعنى البيضة .

وفى حديثين للرسول الكريم عن المشارق والمغارب للشمس، وكروية الكون :

[هى على رسلها لا تبرح ولا تزول]

أى أن الشمس تغرب عن قوم وتطلع على قوم .

[إن الزمان قد إستدار كهينته يوم خلق الله السماوات والأرض]

والحديثان يشيران إلى إستدارة الأرض والسماوات السبع المتطابقة، وكذلك كافة الكواكب منذ خلقها الله حتى الآن. (الملك: ٣ . نوح: ١٥-١٦) منها :

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۚ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ۚ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۚ ﴾

(الملك ٣)

لقد بين القرآن الكريم أن الزمن نسبي وليس مطلقاً . وأنه يعتمد على السرعة والمسافة. فالسنة الشمسية على الأرض ٣٦٥ يوماً. فى حين أنها على الكوكب عطارد (أقرب كوكب للشمس وأسرعها) ٨٨ يوماً. أما على الكوكب بلوتو (من أبعد الكواكب من الشمس ومن أبطئها) ٢٥٠ سنة من سنواتنا على الأرض. أما اليوم عند الله سبحانه، كما جاء بالقرآن الكريم، فهو كآلف سنة ، وأيضا ٥٠ ألف سنة من سنواتنا :

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۚ ﴾

(السجدة ٥)

﴿ تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

(المعارج ٤)

كما أخبرنا الله أنه خلق سبع سموات، ومن الأرض مثلهن (أي مثلهن في العدد والتطابق) . وحيث أن الأرض كروية، كما سبق وأن بينا ، إذا فقشرتها اليابسة هي الأرض الأولى، ومن تحتها ست طبقات أو أرضين. وتكمن الأرض السابعة في لبها أو مركزها. إذا فالأرض جسم مركب وليس بسيط، ومنها خلق الله سبع أرضين على مهل ورفق، لإحلال كل أرض في مكانها (أي على مراحل):

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

(الطلاق ١٢)

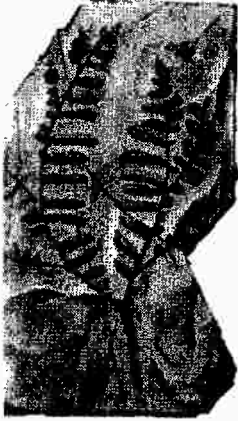
ولما كانت تربة الأرض مكونة من العناصر الخفيفة فقط (فهى خالية تماما من العناصر الثقيلة) لذلك حبا الله الأرض برجمها من السماء بمعدن الحديد الصلب المهم، على هيئة نيازك، لأنه ضروري لبعض المخلوقات فيها، ونافع للحياة بها :

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾

(النجم ١)

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحديد ٢٥)



أحفورة نباتية

بعد ذلك خلق الله النباتات في البحر أولاً، وقبل أن تغزو الأرض (بالأماكن التي تعطيها تربة) بمئات الملايين من السنين. وكان أغلب هذه النباتات من الطحالب والأعشاب البحرية، والتي وجد في روديسيا (التي تقع غرب موزمبيق بجنوب شرق إفريقيا) آثار لحفريات لها، يقدر عمرها بحوالي ٢٧٠٠ مليون سنة. ومن المحتمل أن تكون نباتات الأرض اليابسة قد نشأت بالتطور التدريجي من النباتات البحرية التي كانت علي شاطئ البحر. وأقدم حفريات هذه النباتات الأرضية وجدت بأستراليا، وقدر عمرها بحوالي ٤٥٠ مليون سنة،

كما وجد أيضا بإسكوتلندة حجر صوان (المكون من السيليكا الشفافة) وهو يحتوي علي نباتات أرضية محفوظة جيدا وواضحة المعالم ، وعمرها حوالي ٣٥٠ مليون سنة مضت .



أحفورة عظام

سمكة بدائية

بعد ذلك خلق الله الدواب (أى كل مخلوق حى يسير أو يتحرك) من الماء. ونشر الملائكة فى أجواء السموات، وبث الجن والأنس والحيونات والطيور والحشرات والزواحف والأسماك فى الأرض لمنفعة الناس (البقرة: ١٦٤. الثور: ٤٥. الشورى: ٢٩) منها :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١٦٤)

(البقرة ١٦٤)

ويرى المرءُ الجبالَ فيظنها ثابتة لا تتحرك، ولكنها، في الحقيقة، تتحرك تبع الأرض وكل ما عليها وفي غلافها الجوي، مثل السحاب. بل إن ما في الكون كله يتحرك، بسماواته وأرضه وما بينهما من أجرام. ووضع الله لكل جرم حركته الدائمة في نظام دقيق مبدع، وحساب وتقدير لا إخلال فيه إلى يوم القيامة (كما أسلفنا) :

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٨٨)

(النمل ٨٨)

ويوم تقوم الساعة التي لا يعرف موعدها إلا الله، كما أسلفنا (الأعراف: ١٨٧) تحدث نهاية الكون بإنهياره بأمر من خالقه. وعندها تضطرب السماء إلى درجة الإنشقاق والتصدع، وتسقط الكواكب متبعثرة، وتتفجر البحار وتتصل ببعضها البعض. وتبدل الأرض غير الأرض، وتزداد سعتها بدك جبالها، وبإلقاء ما في جوفها من الموتى بعد بعثهم من جديد (إبراهيم: ٤٨. الطور: ٩-١٠. الإنفطار: ١-٤. الإنشقاق: ١-٥) منها :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ ﴾ (الانفطار ١-٤)

(الانفطار ١-٤)

كون الانفجار العظيم :

بيِّنا فيما سبق، كيف خلق الله سبحانه، الكون بسمواته وأرضه وما بينهما.
وخلق الحياة بالأرض كما جاء بالقران الكريم :

﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ۚ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُتَوَنَّى بِكُتُبِ رَبِّكَ فِي الْيَوْمِ الْقِيَامِ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قُبُلًا وَسُبْحَانَ رَبِّكَ فِي الْوُجُوهِ ۚ ﴿١٩٠﴾

(الأحقاف ٣-٤)

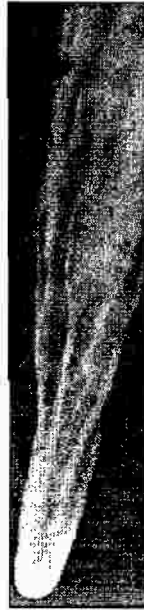
فى هذا المقام العلمي الطبيعي الإلهي، سوف نبين ما جاء به العلم الطبيعي
الإنساني الحديث، وهو قليل (الإسراء : ٨٥) عن خلق هذا الكون .

يقول علماء عصرنا الحديث، أن الكون مخلوق مُحدث وليس وجوده أزلى.
وطبقا للإفتراض الأكثر شيوعا، تكوّن عالمنا منذ حوالي خمسة عشرة آلاف
مليون سنة مضت. وكان عبارة عن نقطة سوداء، تتكون مادتها من بروتونات
و نيوترونات ملتصقة مع بعضها بقوة هائلة. وكانت شدة حرارتها وكثافتها
وتجاذبها عالية جدا إلى حدود لا يمكن قياسها. مما سمح للأتوية الذرية بجذب
الإلكترونات. وبهذا تكونت ذرة الهيدروجين (ذات الإلكترون الواحد) لأول مرة.
ومع زيادة التمدد صحبه انخفاضاً في الحرارة، وارتباطاً للذرات مع بعضها
البعض لتكوين العناصر الخفيفة للمادة (أى ذات الوزن الذرى الخفيف) وعددها
١٤ عنصرا. وهى تبدأ بغاز الهيدروجين وتنتهى بعنصر السيليكون. ومنها
عناصر الكربون والنايتروجين والأوكسجين والنيون والصوديوم والماغنسيوم
والألومينيوم .

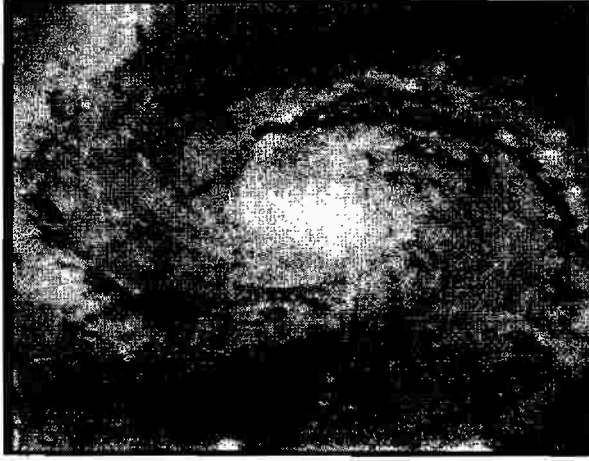


وعلى ذلك تكونت سحابة ضخمة من الغازات والتراب المكون من العناصر الخفيفة. ولقد ظلت هذه السحابة أو "السديم" تتكشر وتتضاغط وتتدكس بشدة، وهى تدور حول نفسها فى الفضاء الفسيح حتى صارت أصغر ما يمكن فى الحجم (قدرت بكرة لايزيد نصف قطرها عن خمسة ملايين من الكيلو مترات) ولكنها كبيرة فى كمية المادة أو الطاقة. وتحت تأثير تمددها وجاذبيتها أخذت تتصدع بسرعة متزايدة حتى انفجرت، ولذلك سميت هذه العملية { الانفجار العظيم The Big Bang }. وهى ماوصفها القرآن الكريم بتعبير أدق " فُتِقَ الرِّيقُ"، كما ذكرنا، حيث أن كلمة الانفجار تعني تفتت الشئ وتناثر أجزاؤه بدون نظام، أى دماره. ولقد تولّد عن هذا الانفجار العظيم مكونات، أو أجرام مختلفة الحجم والكتلة ودرجة الحرارة. فمنها الساخن المستعر كالشمس والنجوم، ومنها ما برد وأعتم كالأرض والكواكب والأقمار (كلمة كوكب مأخوذة من كلمة يونانية معناها الجوال أو السيار). وهى تتحرك فى مجموعات تختلف فى كبرها وعددها الهائل الذى لا يُحصى. وكل مجموعة تدور سابحة حول مركز أو نواة لها. ولكل جرم مدار خاص به. ويُطلق على كل مجموعة إسم "المجرة". وحيث أن مقاييسنا المستخدمة على الأرض للمسافات (مثل الكيلومتر أو الميل) يصعب إستخدامها لقياس المسافات الشاسعة فى الفضاء بين الأجرام، لهذا

إِسْتَعِضْ عنها بالسنة الضوئية (وهى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة واحدة، أى ٣٦٥ يوما. ولما كانت سرعة الضوء حوالى ٣٠٠ ألف كيلومتر تقريبا فى الثانية (وهو أسرع شئ نعرفه فى الوجود، وأى جسم (أو مادة) يسير بهذه السرعة يتحول إلى ضوء....) إذا فالسنة الضوئية تساوى ١٠ ملايين كيلومتر. ولنأخذ مجرتنا درب التبانة أو الطريق اللبنى، جالاكسى **Galaxy** (حيث أن جالا باليونانية تعنى لبن) كمثال :



تتشكل مجرتنا على هيئة قرص كبير جدا فى مركزة نواة، وهى تضم نحو ٢٠٠ ألف مليون جرم موزعة بشكل خاص، منها النجوم الساخنة المستعرة، والكواكب والأقمار التى بردت. وهى تتحرك دون سقوط أو تصادم نتيجة لتماسكها الشديد الى بعضها البعض .

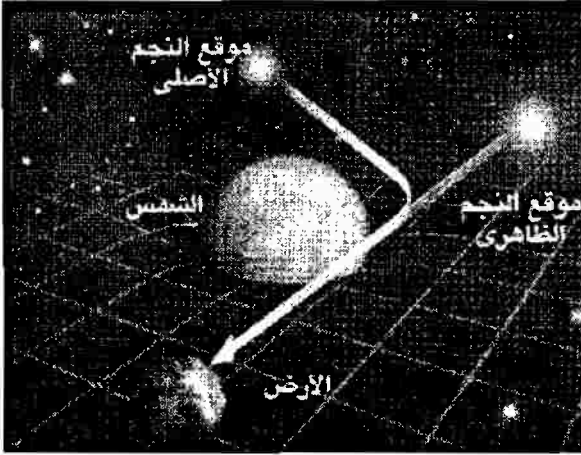


مجرة حلزونية بها بلايين النجوم المرتبطة بالجاذبية

وتنقسم النجوم إلى ثلاثة أنواع مختلفة حسب لونها ودرجة حرارتها وحجمها. فالنجوم الذهبية اللون (مثل الشمس) درجة حرارة سطحها المرئى حوالى ٦٠٠٠ درجة، وهى متوسطة الحجم (تتفاوت درجة الحرارة بداخل الشمس حتى تصل إلى ١٤ وقيل ٣٠ مليون درجة مئوية) .

وهناك نجوم حمراء ودرجة حرارتها حوالى ٣٠٠٠ درجة وهى كبيرة الحجم، لذلك يطلق عليها إسم "العماليق الحمراء" .

أما النجوم الزرقاء فدرجة حرارتها حوالى ١٥٠٠ درجة، وهى صغيرة الحجم وتسمى " الشهب أو النجوم المنقضة " . وهى مجرد حبيبات من الأتربة والحجارة الصغيرة. وعندما تندفع منقضة فى الجو، ومتحركة بسرعة ٤٥,٨ ميلا فى الثانية تشتعل .



وتفصل النجوم عن بعضها البعض مسافات شاسعة جداً، يصعب معها أن يصطدم نجم بآخر. وهى مع الشمس تكون جزءاً من مجرتنا. وهى فى حركة دائمة، لذلك يصعب تحديد المكان الحقيقى للنجم بالنظر اليه، ولا بأي وسيلة أو جهاز علمي. وعلى ذلك يصبح لكل نجم موقعين هما : الموقع الذى نراه وغادره النجم بسرعه الفائقة، والموقع الذى يشغله فعلاً. فإلى شمس مثلاً، أقرب نجم إلى الأرض، تبعد عنها ١٥٠ مليون كيلومتر ، فضوئها الذى ينطلق بسرعة ٣٠٠ ألف كيلومتراً تقريباً فى الثانية، يصل إلى الأرض بعد ٨,٣٣ دقيقة تقريباً، كما أسلفنا. بينما تجري الشمس بسرعة ١٩ كيلومتراً فى الثانية تقريباً، فتكون قد تحركت لمسافة لا تقل عن ١٠ آلاف كيلومتراً عن الموقع الذى إنطلق منه ضوئها .

هذا فضلاً عن أنه قد ثبت علمياً أيضاً، بأن الضوء (وهو أحد صور المادة، وتسير موجاته فى خطوط مستقيمة) يتغير مساره فى مجالات الكون المختلفة بتغير كثافتها وخواصها التجاذبية. وعليه فإن موجات الضوء يحدث لها إنعطاف أو إنكسار، فتتحرك فى السماوات فى خطوط منحنية، يصفها القرآن الكريم بـ"المعارج" ومعناها المنعطفات أو الإنحرافات (وشبهت بالدرج أو السلم). ويصف الحركة ذاتها (أى الفعل) بالعروج (أى الإنكسار، أو الخروج عن الخط المستقيم Refraction). وحينما ينعطف ضوء نجم فى اتجاه الأرض،

فإن الناظر له من الأرض يري موقعا لهذا النجم علي إستقامة بصره، وهو موقع يغير موقعه الحقيقي الذي صدر منه الضوء. وهذا يؤكد أيضا، إنه لا يمكن رؤية النجوم ذاتها أبدا من فوق سطح الأرض. ولقد ذكرت هذه الحقيقة في القرآن الكريم المعجز :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

(الواقعة ٧٥-٧٦)

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

(الحجر ١٤)

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٧٩﴾ ﴾

(سبا ٢)

﴿ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٨٠﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٨١﴾ ﴾

(المعارج ٣-٤)

تبين الآيات السابقة أن الملائكة والروح الأمين قد خلقها الله من نور. ولهذا فهي تعرج مثل الضوء في السموات المتسعة إتساعا يبدو بلا نهاية ١٠٠٠، الأمر الذي لا يدركه عقل ١٠٠٠!، سبحان الله، وأن هذا الإتساع مستمر مع الزمن، وهو يعرف بنظرية "التمدد". وبما أن الله هو مصدر نور السموات والأرض، فهو منورها بكل نور حسي هادئ مريح ومنتشر لينور الكون كله (لا علاقة له بضوء الشمس وحرارتها، ولا بشروقها وغروبها) ونور معنوي واضح

كنور الحق والعلم والهدى. فنوره يشهد ويدل علي وجوده، ويدعو للإيمان به سبحانه وتعالى :

﴿ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۚ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۚ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَضَرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلِ لِلنَّاسِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

(النور ٣٥)

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُم ۖ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾

(النساء ١٧٤)

ولا يفوتنا في هذا المقام، أن ننوه بمعجزتي المعجزات، وهما "الإسراء والمعراج" برسول الله، صلى الله عليه وسلم (كعبد من عباد الله) أي رحلته السماوية في صحبة الروح الأمين جبريل، عليه السلام، بواسطة البراق (وهو الوسيلة أو الدابة التي تضع حافرها، أي طرفها، عند نهاية نظرها، عن السنة المطهرة، وهذا يرمز إلي سرعتها المذهلة. ويمكن تشبيهه بالصاروخ الذي عليه مركبة فضائية في عصرنا الحالي.... والله أعلم) الذي إستخدامه، وإشتق إسمه من البرق. والبرق هو ظاهرة سماوية، عبارة عن وميض (أي ضوء خاطف لسرعته الفائقة). وهو ينتج عن تفريغ شحنة كهربية جوية، أي بين السحب المشحونة، وغالبا ما يسبق وميض البرق صوت الرعد في يوم مطير، (لأن سرعة الضوء (٣٠٠٠٠٠ كم في الثانية) أعلي من سرعة الصوت (٣٣٠ م في الثانية) .

لما جاء عام الحزن علي الرسول (كما سماه المؤرخون) ففيه توفي عمه "أبو طالب" علي دين أجداده. وكان يحيي ابن أخيه "محمد"، عليه السلام، لما له

من هيبة وسلطان بمكة. بعد ذلك توفيت زوجته السيدة "خديجة"، أم المؤمنين، رضي الله عنها. وكانت ملاذه الوحيد، والزوجة التي احتضنته قبل النبوة، والرفيق والصديق بعدها. ولما ازداد إيذاء قريش للنبي، صلي الله عليه وسلم، وكان الحصار العام علي الدعوة قد أحكم، فكر في التوجه إلي الطائف، حيث تقطن قبيلة "بني ثقيف" الكافرة، أملا أن يفتح الله للدعوة بابا تتفذ منه. وقرر أن يسير إليها علي قدميه (بالرغم من أنها تبعد عن مكة بحوالي سبعين كيلو مترا) حتي لا يلفت خروجه نظر أهل قريش. وأن يتوكل علي الله الحي الذي لا يموت:

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَى بِهِ
بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾

(الفرقان ٥٨)

وهناك بالطائف أساءوا إليه وكذبوه، بل وسلطوا الصبيان والأوباش برميهِ بالحجارة. فأصيب عقبه الشريف وسال دمه، وكان ذلك في اليوم الأخير لزيارته، أي يوم عودته إلي مكة. واضطر للجوء إلي بستان هربا من مطاردية، وطلباً للراحة. وهناك حماه صاحب البستان من الأوباش، ورق له قلبه، فأرسل إليه قطفا من العنب. ولما عاد الرسول إلي مكة مرفوضا، ووحيدا لا ناصر له... بدا له أن الناس جميعا قد تخلصوا عنه... فتوجه إلي ربه بكلمات تفيض حزنا وألما، شاكيا إليه ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه علي الناس... وكان حزن الرسول العميق نابع من شففته النبيلة وحنان قلبه الطاغي علي أهل مكة :

﴿ فَلَعَلَّكَ بَمِغْصِكَ نَفْسًا عَلَىٰ شَرِّهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ
أَسَفًا ﴾

(الكهف ٦)

فنزل عليه الروح الأمين جبريل، كبير الملائكة، عليه السلام (يتكون اسم جبريل من مقطعين: جبر + ايل، وتعني: عبد + الله) وقال له :

إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .

وقال الرسول :

[فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد بعثني إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين (جبلان بمكة)].

فرد النبي، صلي الله عليه وسلم، وقد سبقت رحمته غضبه علي أهل مكة :

[بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم مَنْ يعبُد الله وحده ولا يشرك به شيئاً] متفق عليه .

ولقد زاد حب النبي لربه، في نفس الوقت، حتَّى وصل إلي ذروته، بل وإلي حد يصعب علي المرء إدراك عمقه وفهمه، وجعله يقلق ويخاف من أن يكون الله غير راض عنه وغاضبا عليه... فكان يقول ويردد، مخاطبا الله سبحانه وتعالى :

[إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي].... !

وهنا تدخلت العناية الإلهية لنصرته وتكريمه، ووقعت أعظم معجزات الرسول، صلي الله عليه وسلم، والتي تفوق معجزات كل الرسل، وهي معجزتي الإسراء والمعراج، كما أسلفنا، وهما معجزتان فريدتان لا مثيل لهما في قصة نبي آخر، وقد حدثتا ليلا، وفي ليلة واحدة .

نزل جبريل، عليه السلام، إلي الأرض، هذه المرة، ليس فقط بوحي للنبي ولكن لعمل شئ فوق قدرة البشر، وهو مصاحبة النبي في رحلتي الإسراء والمعراج. وكانت قد مضت اثنتا عشرة سنة علي نبوته. ولقد رأي محمد جبريل علي صورته الحقيقية مرة أخرى :

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء ١)

بعد وصول الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى المسجد الأقصى، صلى بجميع الأنبياء الذين أرسلوا قبله إماما (هل وهم موتي في عالم الغيب، أم بعد أن ردوا إلي عالم الشهادة، بقدرة الله سبحانه وتعالى ... ؟ الله أعلم) .

وعادت الكعبة قبلة للمصلين المسلمين كما كانت في أول الزمان (أي استدار الزمان إلى سابق عهده في بداية خلق الله، سبحانه وتعالى، للسموات والأرض) والتي بنتها الملائكة، بعد تحديد مكانها بإيحاء من الله، سبحانه. ثم اندثارها مع طوفان نوح، عليه السلام، وظل مكانها وكذلك قواعدها معروفة. ويظل الإسلام، وبالتالي المسلمون، في ارتباط مقدس مستمر ودائم بالمسجد الأقصى (قبلة الصلاة الأولى، ولإرتباطه بمعجزتي الإسراء والمعراج) وبالسموات العلا، بعد ارتباطه بجميع النبوات والرسالات السابقة له .

من هذه الرحلة يتبين لنا، أن الله أراد بها ربط شرائع التوحيد التي دعا إليها جميع أنبيائه. فأرسل النبي الخاتم محمد، صلى الله عليه وسلم، إماما للأنبياء وقائدا روحياً للبشر أجمعين. وأوحى له بالقرآن الكريم لتحقيق هذا، ولذلك قال الرسول الكريم :

[الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وللناس كافة بشيرا ونذيرا، وأنزل عليَّ الفرقان فيه تبيان كل شيء]

* هذه الصلاة هي صلاة سيدنا إبراهيم . وهناك رأي آخر ، وهو أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قد صلى بجميع الأنبياء بعد رجوعه من معجزة المعراج (حيث فرضت هناك الصلاة الحالية على كل مسلم لأول مرة ، كما سوف يلي) ... والله أعلم

ومما يؤكد ذلك، أن جميع الكتب السماوية نصت علي أصول وعقائد دينية واحدة، وهي : وحدانية الله، والإيمان به وبكتبه ورسله وملائكته، وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر. كما أن جميع أنبياء الله ورسله قد دعت البشر إلي العمل الصالح، والنهي عن المنكر، والتحلي بالعدالة والأمانة والصدق والوفاء بالعهد. بذلك انتهت معجزة الإسراء، وبدأت معجزة المعراج .

صعد، أو بالأصح عَرَج، الرسول الكريم في صحبة الروح الأمين متجاوزا السماوات العلا السبع، من المسجد الأقصى بالقدس بفلسطين إلي سدره المنتهي (أي التي ينتهي إليها علم جميع خلق الله من ملائكة وجن وإنس) حيث البيت المعمور وجنة المأوي. فكان أول بشر يتجاوز كوكب الأرض والأقمار والشمس والنجوم والمجرات. وهي المرحلة الأولى الملائكية (أي النورانية) للمعراج، بعد أن تغيرت إليها طبيعة الرسول من الحالة البشرية (بروحه وجسده، الذي كان عليها بالأرض) بقدرة الله، وحتى يستطيع مصاحبة صاحبه الروح الأمين، ولهذا لم يراه أحد من الناس ، وهذا ليس بعزيز علي الله ، وكما جاء بالقرآن الكريم "جنودا لم تروها" :

﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَظُنُّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (التوبة ٤٠)

﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَحْمًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾

(الأحزاب ٩)

إن تغيّر هياكل الملائكة والجن والإنس والرفع إلى السماء، سبق وأن حدثت من قبل مع بعض الأنبياء مثل : إدريس وعيسي، وإبراهيم، ومريم، عليهم أجمعين السلام .

لقد جاءت هذه المعجزة الخارقة، التي لاقاها لها بالدعوة الإسلامية، لتأييد وتشريف الرسول شخصياً، وتقدير مكانته العالية والفريدة عند ربه. لذلك دعاه الله إليه ليُريه بعض من آياته الكبرى :

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۖ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۚ أَفَتُمَرُونَهُ ۚ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۚ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۚ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۚ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۚ ﴾

(النجم، ١٠-١٨)

شاهد وفهم الرسول أشياء يعجز اللسان عن التعبير عنها، وتفوق كل ما يحيط به بصر وإدراك البشر، أي خارج نطاق نظره وفوق إدراكه وفهمه علي مدي العصور السابقة واللاحقة وإلى يوم القيامة .

ثم كانت مرحلة المعراج الثانية، وهي إختراق السماوات إلي ما بعد نهاية الكون المخلوق، وحيث يبدأ عالم الغيب (الذي لا يدري حقيقته إلا الله سبحانه وتعالى، ومن أعلمه) والذي يؤدي إلي الحضرة الإلهية، والتي يحتمل تسميتها بفوق الملائكية، أو فوق النورانية ... والله أعلم...، حيث أنها لم تُنح لأبي بشر إلا للرسول محمد فقط. فقد كانت أعلي مكانة ومقاماً وإعجازاً وغيباً. ولذلك لم يشارك فيها جبريل (وهو من الملائكة المقربين) حتي لا يحترق. تقدم الرسول، صلي الله عليه وسلم، بمفرده، فاخترق وظل يعرج صاعداً إلي السماوات العلا، بقدرة الله، حتي صار في حضرته عزاً وجل. وكانت تحية الله التي من بها علي ضيفه في هذه الزيارة، هي الصلاة. وكذلك منحها لكل فرد من أمته. والصلاة،

هي متعة المصلي بالإنفراد بعبادة ومناجاة الله سبحانه مباشرة وبدون وسيط. وإن صح فقل، فهي معراجة إلي ربه عن طريق الصلاة (وقوف في خشوع، وركوع وسجود ودعوات لله وحده، ثم التسليم) خمس مرات في اليوم واللييلة. ولذلك فرضت علي كل مسلم من باب عبادة مانحها له، وهو خالقه .

إن حادثتي الإسراء والمعراج برسول الله، صلي الله عليه وسلم، كانتا في عام ٦٢١ م. ، أي قبل هجرة الرسول إلي يثرب (المدينة المنورة) بعام واحد فقط . وأسري به من بيت ابنة عمه "هند" ابنة أبي طالب (وكنيتها، أم هانئ). وكانت بعد وفاة عمه "أبو طالب" وكذلك زوجته السيدة "خديجة" كما أسلفنا، وفي فترة خطبته للسيدة "عائشة" ابنة "أبي بكر" الصديق، وزواجه من السيدة "سودة" بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس. وتم الإسراء والمعراج بالرسول بعد صلاته بأهل منزله صلاة الفجر، وعاد وفراشه لم يبرد بعد.... ! سبحان الله ... وأخبرهم بما حدث له في صلاة الغداء ... !.

يعتقد العلماء أن الأرض مثلاً، تجمدت قشرتها منذ حوالي ٥٠٠٠ مليون سنة مضت، منها فترة خلق العناصر المختلفة التي كونتها هي نفسها. إذاً فالكواكب والأقمار أجسام معتمة تعكس ضوء الشمس الساقط عليها. وللبعض الكواكب عدة أقمار تتبعها وتدور حولها، مثل المشتري وزحل. أما الأرض (قطرها حوالي ١٢٧٥٦ كم.) فيتبعها قمراً وحيداً (قطره حوالي ٣٤٧٦ كم.، وهو أقرب الأجرام السماوية، المعروفة لنا، إلى الأرض، حوالي ٢٤٠ ألف ميل). ولقد ثبت علمياً أن السطح الصخري لقمر الأرض يحتوى على بلورات زجاجية، والتي تتكون عادة من أنواع الرمال النقية (أي السيليكا أو ثاني أكسيد السيليكون). ولهذا يأتي قمر الأرض في لمعانه بعد الشمس في الترتيب .

وعدد كواكب المجموعة الشمسية المعروف لدينا هو تسعة، إحداها الأرض التي نعيش عليها .

وحدثا جدا (عام ٢٠٠٦ م.) أقر علماء الفلك (بمؤتمر أُقيم بالعاصمة التشيكية "براج") استبعاد كوكب "بلوتو" أصغر (قطره حوالي ٢٢٨٨ كم.) وأبعد (حوالي ٥٩١٤ مليون كم.) كواكب المجموعة الشمسية، لصغر حجمه عن الحد الذي اتفق عليه علماء المؤتمر للكوكب. وأضافوا ثلاثة كواكب جديدة إلى المجموعة، وهي: "سيرز" (الذي أُعتبر أكبر جرم سماوي) و "شارون" و "إكسينا Xena" (الذي اكتشف عام ٢٠٠٣ م. وقطره حوالي ٢٣٩٨ كم. أى أكبر من بلوتو بنسبة ٣٠%). وبذلك يصبح عدد كواكب المجموعة الشمسية حاليا، أحد عشر كوكبا. وقيل أن هناك أربعة كواكب أخرى جاري اكتشافها....، وهي : "سيدنا" و "كواأور" و "قيستا" و "باللاس"....؟

تطوف الكواكب حول الشمس فى مدارات بيضاوية، سابعة من الغرب الى الشرق، ولولا وجود جاذبية الشمس ومساواتها لقوة الطرد المركزية الناتجة من دوران الكواكب حولها، لإنطلقت الكواكب إلى الفضاء الكونى .

ترتيب الكواكب التباعدى من الشمس كالآتى :

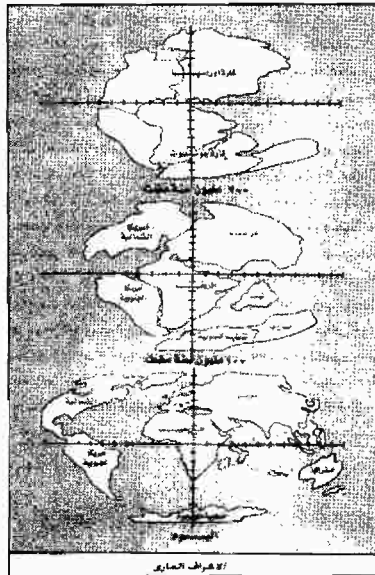
عطارد - الزهرة - الأرض - المريخ - حزام الكويكبات - المشترى - زحل (أو السيار) - أورانوس - نبتون - بلوتو .

أما بالنسبة للترتيب التصاعدى لأحجام الكواكب (المعروف بمقاديرها) فهو :

بلوتو - عطارد - المريخ - الزهرة - الأرض - نبتون - أورانوس - زحل- المشترى .

حزام الكويكبات "كويبر": أكتشف عام ١٩٩٠ م.، وهو عبارة عن عدد كبير جدا من الكويكبات، تجرى بين كوكبى المريخ والمشتري، ويضم آلافا من الجسيمات الصغيرة نسبيا، والتي يعتقد أنها ناتجة عن إنفجار كوكب كبير كان يجرى فى هذا المدار. وهى بذلك لا تمثل كوكب واحد حاليا .

هنا تجدر الإشارة إلى أنه ليس من قبيل المصادفة، أن يكون عدد الكواكب في مجموعتنا الشمسية حالياً هو أحد عشر، ويكون عدد إخوة يوسف، عليه السلام، بنفس العدد... ! وأن يري نبي الله يوسف في رؤياه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين. وأن تتحقق هذه الرؤيا بسجود إخوته الأحد عشر وأبويه له يوم جمعهم الله علي أرض مصر بعد طول فراق، كما جاء بالقرآن الكريم المعجز من ١٤ قرناً مضت :

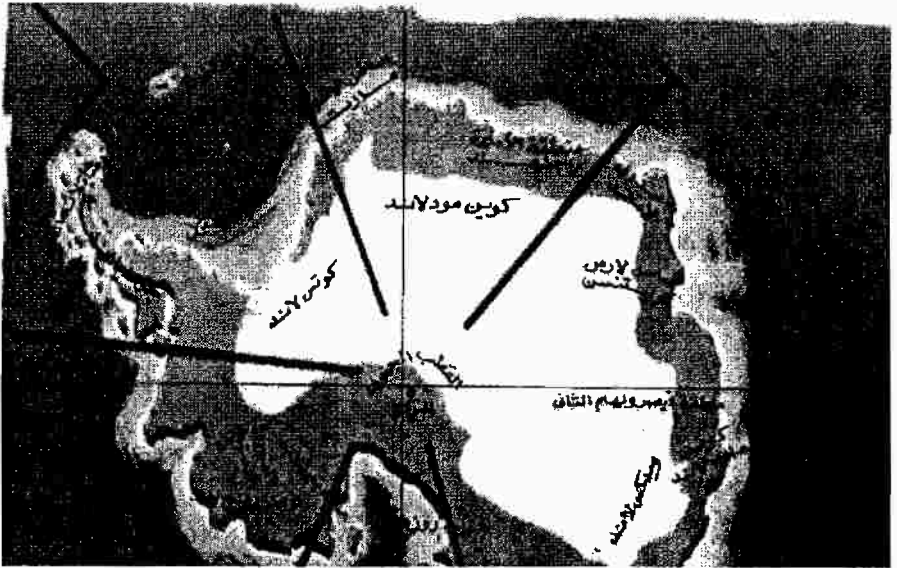


﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

(يوسف ٤)

وعلى الرغم من أن الأرض تبدو لنا كبيرة إلا أنها، بالنسبة إلى عالم الفلك، إن هي إلا ذرة تراب (أى هبة) في الكون. عندما يبرد سطح الأرض إلى الدرجات التي تقاس اليوم، وأصبح قشرة ترابية صلبة ، تم تكاثف بعض غازات الجو (بخار الماء) لتكسوها بالماء والجليد ، وتكون لها بذلك سطح مائي . ثم

ظهر على هذا السطح المائي في البداية جزء صغير يابس ومرتفع نتيجة ثورة بركانية في قاعه. وبتوالي تفجير القاع الصلب للسطح المائي، وإلقائه حممه المتراكمة بعضها فوق بعض، تكونت أول جزيرة بركانية. وبالتدريج ومع مضي الزمن، إمتدت هذه الجزيرة الصغيرة (أو التل الترابي) وبسطت إلى كتلة واحدة عملاقة مكونة القارة الأم "بانجيا" ذات السماء والأرض والجبال الثابتة. وقشرتها الأرضية مكونة من وشاحين: العلوي أو الخارجي، وصخوره غنية بمادتي السيليكا SiO_2 (بنسبة ٧٠%) والأكومينا AlO_3 ، ولذلك أطلق عليها اسم السيل Sial. أما الوشاح السفلي فصخوره مكونة من السيليكا (ولكن بنسبة أقل حوالي ٤٥%) والماغنسيوم (Magnesium (Mg ، ولهذا سميت بصخور السيمما Sima . وهي تكون قيعان المحيطات، وتمتد تحت القارات. وبدأت أم القارات "بانجيا" في الانقسام أولا إلى جزئين ، قارة " أوراسيا Urasia " وقارة "جوناتوانا Gonatwana". واستمر الانقسام بالتدريج (قَدَّر بحوالي ٢٢٠ مليون سنة) حتى وصل إلى سبع قارات متباعدة عن بعضها حالياً،(وأطلق عليه اسم الزحف القاري) وهي: آسيا، وأوروبا، وأفريقيا، وأستراليا مع نيوزيلندا، وأمريكا الشمالية والوسطى، وأمريكا الجنوبية، وانتاركتيكا (وهي تقع جنوب القطب الجنوبي، وهي غير مأهولة).



إن بسط الأرض ومدها بدون نهاية، لا يمكن أن يتأتى إلا إذا كانت كروية الشكل. كما أن اختلاف كتل الأرض اليابسة فيما بينها، عما هو عليه اليوم، مع تواجد شبكة الصدوع والخسوف الأرضية، عزز بدوره إنشقاق أرض القارة الأم (أي الإنحراف القارّى) إلى سبعة أجزاء مختلفة، بعيدة عن بعضها البعض، ويفصلها الماء. وظلت تتباعد عن بعضها البعض ببطء حتى وصلت إلى السبع قارات المعروفة لنا حاليا. ولقد أثبت ذلك التشابه الكبير بين تعرجات شواطئ غرب أوروبا وأفريقيا، وتعرجات الشاطئ الشرقى لشمال وجنوب أمريكا، كما لو كانت قطعة واحدة (أى قارة واحدة) وانقسمت. بالإضافة إلى التشابه الشديد بين صخور القارات المختلفة. هذا فضلا عن أنه بواسطة التيارات الناقلة للحرارة فى صخور السیما (التي لها قدرة هائلة على تجديد القشرة الأرضية وتصديعها) حدث إختلاف كبير فى تضاريس سطح الأرض، خاصة على حواف القارات الكبيرة، مثل: أفريقيا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأستراليا، حيث أرتفعت سلاسل الجبال بفعل الزحزحة أو الإنحراف القارّى. حدث ذلك تدريجيا منذ حوالي ٢٢٠ مليون سنة مضت. ولاتزال اليابسة فى حركة بطيئة حتى يومنا هذا. فلقد أفادت بعض الشواهد العلمية الحديثة، بأن قاع البحر الأحمر (القلزم) قد أصيب بخسوف أرضية عميقة، وأن قاعه فى إتساع بمعدل ١-٣ سم فى السنة (قيست فى جنوبه عند باب المندب) وأن ساحل شبه الجزيرة العربية ككل يتحرك فى إتجاه الشمال الشرقى متباعدة عن الساحل الإفريقى. إن هذه الحركة الدائبة تنتج عنها الهزات الأرضية والثورات البركانية وتكون السلاسل الجبلية .

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾

(الطارق ١٢)



إن مساحة سطح الأرض حوالي ٥١٠ مليون كيلو متر مربع. وهي تتميز بغلاف جوى غازى، هو الهواء الذى يفصلها عن السماء بارتفاع ١٠٠٠ كيلو متر تقريبا، فوق سطح البحر. وهو يتكون من غازات مختلفة وبخار الماء وجسيمات. وتعمل هذه المكونات على تثبيت وانتشار أشعة الشمس الساقطة عليه ليعم ضياؤها. وأهم الغازات هي: الأوكسيجين أساسا (٢١% حجما)، والهيدروجين، والنايتروجين (٧٨% حجما) وثانى أوكسيد الكربون، ومعظم الغازات الخاملة. وكثافة هذا الهواء تقل كلما ارتفعنا عن سطح البحر. وكذلك الضغط الجوى يقل (حوالى نصف قيمته كل ٥,٥ كم. ارتفاع، إلى أن يصل صفرا عندما يصل إلى أعلى إرتفاع له. وتضييء أشعة الشمس نهارا جزءا رقيقا بأسفل الغلاف الغازى، وهو المحيط بنصف الأرض المواجه للشمس. أما خارج طبقة النهار والغلاف الغازى فالكون مظلم شديد السواد. وهناك لا يرى الإنسان الشمس إلا قرصا أزرقا. كما أن الإنسان يفقد حواسه وإتزانة، بل يجد بدنه في تقلب مستمر لإنعدام وزنه. ويشعر بضيق في صدره وفي تنفسه لعدم وجود هواء. ولقد ذكر ذلك بالقرآن الكريم :

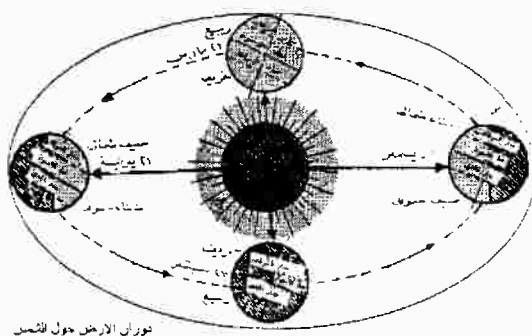
﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ تَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢٥) (الأنعام)

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ ﴾ (١٤-١٥) (الحجر) ﴿ سَكِرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ (١٤-١٥) (الحجر)

يغطي الماء حاليا حوالى ٧١% من مساحة الكرة الأرضية، مكونة غلاف مائى لينظم درجة حرارتها وحرارة الغلاف الغازى المحيط بها. ولهذا أطلق على الأرض، كما أسلفنا، إسم "الكوكب المائى".

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴾ (المعارج ٤٠)

ولقد أثبت علماء الفلك أن الأرض، فى الحقيقة، على شكل كرة مفلطحة عند قطبيها الشمالى والجنوبى، ومنبعدة للخارج قليلا عند خط الإستواء. إن دوران الأرض دورة واحدة كل يوم حول نفسها وأمام الشمس، يعطى الليل والنهار المتعاقبين والمشرق والمغرب. وللأرض دورة ثانية حول الشمس فى ٣٦٥ يوما (أى فى السنة) لتعطى الفصول المناخية الأربعة .



وهي تبعد عن الشمس بمسافة مناسبة (متوسطها حوالي ١٥٠ مليون كيلومتر، كما أسلفنا) تُعَرِّضُهَا لقدر ملائم من الحرارة والضوء (يحتاج ضوء الشمس إلي ٨,٣٣ دقيقة ليصل إلى الأرض، كما ذكرنا) مما يساعد على حفظ الكائنات الحية بها ونموها. ولولا حرارة الشمس لكسي الأرض الجليد وكانت بدون حياة. ويكتمل الحفاظ على الحياة بسقوط المياه على هيئة أمطار علي الارض . فيسكن الماء العذب فيها مكونا البحيرات والأنهار. ويتخلل طبقاتها السفلية مكونا المياه الجوفية التي تتفجر عيوناً أو تسحب بواسطة حفر الآبار .

لقد لاحظ المصري القديم وجود علاقة بين إكتمال فيضان النيل عند بلدة "ألفنتين" (أسوان حالياً) في الجنوب، أو عند مدينة "منف" في الشمال جنوب الدلتا، وبين ظهور نجم "الأبرق"، ألمع نجوم السماء على الأفق الشرقي قبيل شروق الشمس، أي عند السَحَر (وهو من مجموعة نجوم الشعرى اليمانية "سيد" الدب الأكبر سيوريوس). كذلك لاحظ المصري القديم، أن الفترة الزمنية التي تفصل بين ظهور هذا النجم مرتين متعاقبتين هي ٣٦٥ يوماً. ومن هنا توصل المصري إلى ما عُرف بالسنة الشمسية (أي المعتمدة على دورة الأرض حول الشمس) المكونة من ٣٦٥ يوماً لتقدير الزمن. وبالتالي بالشهر المكون من ثلاثين يوماً، وكذلك باليوم المكون من ٢٤ ساعة. وبذلك قسّم السنة إلى ١٢ قسماً متساوية (أو شهراً) بفارق خمسة أيام اعتبرها أياماً تكميلية، وخصصها للأعياد، وأسماها "النسيء" كشهر صغير، هذا بالنسبة للسنة البسيطة. أما بالنسبة للسنة الكبيسة، والتي تأتي بعد كل ثلاث سنوات بسيطة، فتزيد عدد الأيام التكميلية بها إلى ستة أيام. وبذلك تنتهي دورة الفصول بنفس التاريخ الذي بدأت به السنة. هذا ولقد أطلقوا على كل شهر إسم أحد الآلهة المصرية القديمة. وصارت رأس السنة المصرية القديمة هي أول شهر توت الموافق ١١ سبتمبر لمدة ثلاث سنوات، وفي السنة الرابعة توافق يوم ١٢ سبتمبر. ولقد استمر هذا التقويم آلاف السنين (أي من حوالي ٤٢٤٠ سنة ق.م). ولقد استمر المصريون يحتفلون برأس السنة هذه كعيد قومي، وأطلقوا عليه أسماء أخرى، مثل: عيد وفاء النيل،

وعيد الفلاح. ولا يزال هذا التقويم مُستخدماً لدى الفلاح المصرى حتى اليوم، ويحفظه عن ظهر قلب. ولقد قام المصريون بتأليف أمثلة شعبية تتناسب مع ظروف ومسمى كل شهر (راجع التقويم المصرى القديم) .

التقويم المصرى القديم

الفصول المناخية	شهور السنة الميلادية	الفصول الزراعية	شهور السنة المصرية	أمثال شعبية
الخريف	٢١ سبتمبر	فيضان	١ / توت	رية ولا تفوت (أى لا تدع الفرصة تفوت).
	أكتوبر		٢ / بابة	إدخل وإقل البوابة.
	نوفمبر		٣ / هاتور	أبو الذهب المنثور (القمح والحبوب).
الشتاء	٢١ ديسمبر	بذر	٤ / كيهك	صباحك مساك أو تشيل إيدك من فطارك تحطها فى عشاك.
	يناير		٥ / طوبة	تخلى الصبية كركوبة.
	فبراير		٦ / أمشير	أبو الزعابيب يخلى الجلد على الحصير.
الربيع	٢١ مارس	حصاد	٧ / برمهات	روح الغيط وهات.
	أبريل		٨ / برمودة	دق بالعمودة (شهر الطحين).
	مايو		٩ / بشنس	إكنس الغيط كنس (شهر الدرس).
الصيف	٢١ يونيو	فيضان	١٠ / بؤونة	بؤونة الحجر (من شدة الحر).
	يوليو		١١ / أبيب	طباخ العنب والزبيب.
	أغسطس		١٢ / مسرى نسيء	تجرى فيه كل ترعة عسرة (أى جافة). (٥ أو ٦ أيام تكميلية)

هذا العالم المصري الذي إكتشف هذه الملاحظات، كان المُعلِّم الأول "توت أو تحوت وقيل هرمس أو إدريس". وتقديراً له، رفعه المصريون القدماء إلى مصاف الآلهة آنذاك، بل وعُبد كإله القمر والحكمة والعلم. وكان رمزه



الإله تحوت
(رأس الطائر أبو منجل)

الطائر أبو منجل "إيبس" (شعار كلية العلوم بجامعة القاهرة حالياً). ولذلك كان هذا الطائر يُحَنَظ بعد موته، تكريماً لما يرمز له من معاني عندهم. كما خلدوا إسمه على أول شهور السنة المصرية، وعليه إِتُخِذَ هذا اليوم عيداً لوفاء النيل. لقد عُرف هذا التقويم المصري القديم (أو القبطي كما أسماه العرب فيما بعد) كأول تقويم في الدنيا. ووُجِدَ هذا التقويم منقوشاً في آثار الأسرتين الخامسة والسادسة (عام ٢٥٦٠-٢٤٢٠ ق.م.). ولقد أنزل القرآن الكريم فيما بعد (بحوالى ثلاثين قرناً) مؤكداً لهذا التقويم :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكََ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَهُ عَامًا وَهُمْ مُؤْتَوْنَهُ عَامًا لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

(التوبة ٣٦-٣٧)

وكذلك فى حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم :

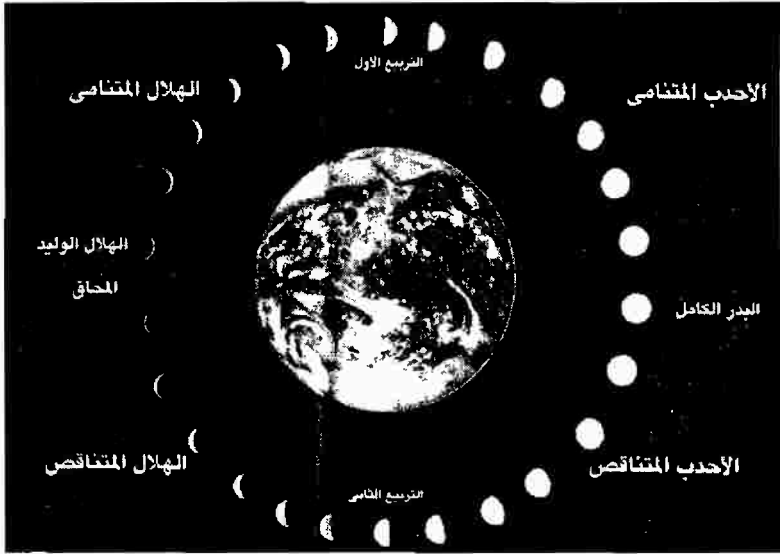
[إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض. السنة اثنتا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان] صدق رسول الله .

فلقد كانت قبائل مضر العربية أشد تعظيما من غيرهم لحرمة شهر رجب، وعدم القتال فيه إلا فى حالة الدفاع عن أنفسهم، كأنهم إختصّوا به، ولذلك أضيف إسمهم إليه، فأصبح يطلق عليه إسم " رجب مضر " .

وفى لمحة علمية سريعة، يتبين لنا أن السنّة على الأرض هى الفترة الزمنية التى تطوف فيها الأرض فى دورة كاملة حول الشمس. وطول هذه المدة يحدده بُعد الأرض عن الشمس (أى نصف قطر مدارها) وسرعتها، وهاتان الحقيقتان ثابتتان منذ خلق الكون. وبضبط هذه الشهور مع منازل كل من القمر والشمس، أو بدورة القمر حول الأرض (لأنه تابع لها). وهو أيضا يدور حول محوره، أو نفسه، بنفس السرعة، لذا فالقمر يواجه الأرض دائما بوجه واحد. وبذلك يدور حول نفسه دورة واحدة فى كل شهر عربى. وهذه الدورة تمثل يومه الذى يقسمه ليلا ونهارا. ويطول كل منهما إلى نصف طول الشهر القمري (أى ١٤-١٥ يوما) .

وبمجرد خروج القمر من مرحلة المحاق (وهى مرحلة " الإقتران " أى إجتماع الأرض والقمر والشمس على إستقامة واحدة وبنفس الترتيب) يُولد الهلال الجديد. وبدورانه حول الأرض تبدأ منازلها فى التامى تدريجيا، كما ذكرنا: من الهلال الوليد، إلى الهلال المتامى، إلى التربيع الأول، إلى الأحدب المتامى، إلى البدر الكامل (حيث تكون الأرض بين القمر والشمس) ٠٠٠ ومع استمرار دورانه حول الأرض تعود منازلها للتناقص تدريجيا : من البدر، إلى الأحدب المتناقص، إلى التربيع الثانى، إلى الهلال المتناقص، إلى الهلال الأخير، ثم يختفى فى مرحلة المجاق ٠٠٠ وهكذا إلى مولد الهلال الجديد من

الشهر التالي ١٠٠٠ وهكذا وطول الشهر القمري عادة، مرة ٢٩ يوما ومرة ٣٠ يوما ، وقد يشذ لأسباب فلكية عديدة. كل هذه المعلومات العلمية الحديثة جاءت لتؤكد ما جاء بالقرآن الكريم منذ ١٤ قرنا مضت (الأنعام: ٩٦. التوبة: ٣٦. يونس: ٥-٦. الإسراء: ١٢. النور: ٤٤. الفرقان: ٦١-٦٢. يس: ٣٨-٤٠. الرحمن: ٥) كما أسلفنا .



لما كانت كل حياة المصريين وإهتماماتهم موجهة إلى الأرض ونهر النيل، فلقد خدم هذا التقويم الزراعة ، من حيث تقسيم السنة إلى ثلاثة فصول زراعية، هي : غمر الأرض بالمياه مع الفيضان "أخت" بالمصرية القديمة، ثم البذر "برت"، ثم الحصاد "شمه". كما أدت هذه الإهتمامات إلى إكتشاف المصري لمبادئ علم الهندسة، واستخدامه في قياس مساحة الدائرة (وطول قطرها ومحيطها) وكذلك المستطيل والمثلث، وبالتالي مساحة أى شكل متعدد الأضلاع. وأيضاً في بناء القرى على الضفة الشرقية للنيل جهة شروق الشمس والنور والدفاء والعمل والحياة، وبناء القبور والأهرام على الضفة الغربية لنهر النيل، حيث غروب الشمس والظلام والبرودة والنوم والموت. ولما كان المصريون منذ بدايتهم أناس يوحّدون الله...! ، لما لا وقد إصطفاهم الله ليعاشروا أول نبيّين بعد آدم

(شيث بن آدم، وإدريس من أحفاد أحفاده عليهم السلام) فقد حباهم الله بأرسالهما إليهم ليغرسا فيهم محبة الله وشرعية التوحيد، وحبهم لبعضهم البعض، وحب الحياة في سلام. ومن هنا شعر المصريون بأهمية الارتباط الأسرى، وتنظيم حياتهم بين أنفسهم، وذلك بوضع تقاليد وقواعد يحترمها الجميع بما فيهم أولى الأمر منهم ، وأسموها " كوت " وتعنى الأصل أو الله. وباليونانية بعد ذلك "كانون"، وحرّفت إلى "قانون" بالعربية. وكان أول قانون يُعرف فى الوجود، وأسموه قانون "توت" تيمناً بـ إله الحكمة والعلم. ولقد نقش فى كثير من الأماكن الأثرية، ولكن بدون نصوص. ولقد درّس هذا القانون بمعبد (أوجامعة) أون بمدينة "أون" (أو هليوبوليس) .

كما كرّس المصريون جهودهم لتنشيط الصناعات الصغيرة وتطويرها، مثل: صناعات الأوانى الفخارية المنقوشة، وغزل ونسج الوبر والصوف وخيوط الكتان، وصناعة الزجاج من الرمل. وكذلك القوارب والورق والحصير والحبال من نبات البردى. ولقد كانت لصناعة ورق البردى أثر كبير فى تقدم العلوم، إذ حرص المصريون منذ ذلك الحين على نسخ المؤلفات الهامة فى مختلف العلوم والآداب. فضلا عن إستخدامه فى رسائلهم وأعمالهم الكتابية والإدارية. ويلاحظ أن من إسم نباته باللغة اليونانية "بابيروس" اشتق إسم الورق.

ذكرنا فيما سبق أن مجرتنا "درب التبانة" تضم عددا كبيرا جدا من الأجرام الكونية الموزعة بشكل خاص، كالنجوم (ومنها الشمس) الساخنة المستعرة. فالنجم يحتوى أساسا على أبسط وأخف العناصر، وهو غاز الهيدروجين الذى تندمج ذراته مع بعضها البعض لتكوين ذرات من العنصر التالى (أى الثانى فى الكبر والوزن) وهو غاز الهيليوم . ويصحب هذا الاندماج النووى عادة إنطلاق أشعة جاما و طاقة حرارية زائدة، يمكن إستغلالها فى تكوين العنصر التالى (أى الثالث الأكبر). وهكذا يمكن تكرار هذه الاندماجات فى سلسلة لتكوين، تدريجيا، العناصر الأكبر فالأكبر حجما والأثقل وزنا. من هذا يتضح أن النجوم المستعرة

يمكن إعتبارها أفران نووية كونية، تتكون بداخلها العناصر المختلفة، وأهمها المعادن (أى الفلزات) مثل: الحديد والنيكل. وهذا لا يتوفر إلا فى النجوم العماليق الحمراء (كما ذكرنا). وحين يتحول لب النجم الى حديد (أكبر الفلزات كماً) يخل تماسك النجم، فينفجر تلقائياً وتتناثر أجزاؤه المسماه "النيازك Meteorites" فى السماء على هيئة كتل صلبة قوامها أساسا الحديد والنيكل والبقية من الرمل (وهى أكبر بكثير من الشهاب) وترتطم بالأرض، الخالية تربتها تماما من المعادن الثقيلة، والمكونة من العناصر الخفيفة فقط، كما أسلفنا. ومن الممكن أن يدمر هذا الارتطام المباشر مدينة بأكملها، والسبب موجة الضغط العالى، والزلزلة التى تتبع الارتطام . ومن حسن الحظ أن مثل هذه النيازك قد حدثت بكثرة (بملايين الأطنان) فى بداية خلق الكون، أما الآن فهى نادرة جدا. ولما كانت تربة الأرض - كما ذكرنا - مكونة من العناصر الخفيفة فقط، فهى خالية تماما من الحديد. لذلك حبا الله الأرض برجمها من السماء بهذا المعدن الثقيل الصلب على هيئة نيازك، لأنه مهم للمخلوقات التى تعيش بها، ونافع للحياة عليها. (النجم: ١. الحديد: ٢٥) كما أسلفنا .

تَخْتَرَقُ (أو تَلَجُ) النيازك غلاف الأرض الصخرى (الطبقة الأولى) وتستمر فى التعمق حتى يستقر أكثر من ثلثها فى لب الأرض (أى بنسبة ٣٦% تقريبا) وتكون بذلك قد صهرت كومة الرماد، وشكلتها فى تروى وعلى مراحل الى سبع طبقات (أو أرضين). وتتناقص نسبة الحديد من اللب فى اتجاه الخارج تدريجيا حتى تصل الى ٥,٦ % فى الطبقة الاولى .

للعديد منافع كثيرة للحياة على الكرة الأرضية، بفضل تواجده فى مركزها الذى أكسبها جاذبيتها (مجالها المغناطيسى) التى بها تستطيع الحفاظ على غلافها الجوى الغازى (أى هوائها) ومسطحاتها المائية (المحيطات والبحار والبحيرات والأنهار) وما عليها من مخلوقات وأشياء ثابتة ومتحركة، فى وجود قوة الطرد المركزية للأرض (المعاكسة لقوة جاذبيتها فى الإتجاه) نتيجة دورانها حول نفسها. وعليه فالحديد ضرورى لجعل سطح الأرض صالح للحياة وللإعمار.

كما أنه أحد مكونات دم بعض المخلوقات بها، مثل: الإنسان والحيوان وبعض الأنسجة الحيوانية. وتتراوح كميته في جسم الإنسان البالغ من ٣ - ٥ جرامات .

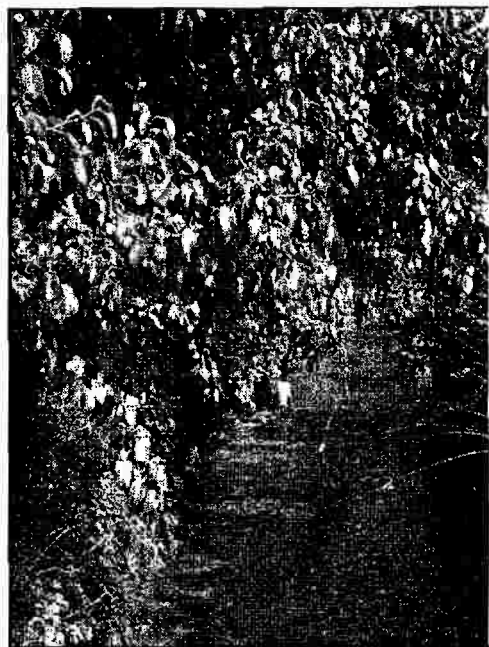
أما النجوم ذات الشعور أو المذنبات Comets فهي ذات أضواء خافتة، ولا ترى بالعين المجردة لأنها موجودة على أبعاد سحيقة. وهي تطوف حول الشمس في أفلاك بيضاوية، ولا تقترب من الأرض إلا نادرا. وعندما يقترب أحدها من الأرض، يظهر أنه كبير الحجم وأنه يتكون من ثلاثة أجزاء : رأس كروية وهالة، وهي دائما موجهة إلى الداخل (أى تجاه الشمس) وحولها منطقة شاحبة تسمى " الشوشة"، ثم ذيل طويل موجه دائما إلى الخارج (أى بعيدا عن الشمس). وعلى الرغم من حجم المذنب الجبار (إتساع رأسه من ١٠- ١٠٠ ألف ميل، وطول ذيله ملايين الأميال) فكتلته على النقيض صغيرة جدا جدا، لأن مكوناته من غازات وغبار وحصى تكون متباعدة جدا، بحيث أنه يُغيّر مساره متباعدة إذا ما صادف في طريقه أحد الكواكب، بينما يظل الكوكب على حاله بلا تغيير. وهذا يبين أن كتلة المذنب تعتبر تافهة بالنسبة لكتلة الأرض. ولهذا فقد مرت الأرض خلال ذيل مذنب "هالى" فى عام ١٩١٠م.، وكان من الصعب ملاحظة ذلك . هذا المذنب يُنسب إلى إسم مكتشفه ، وظهوره كل ٧٥ سنة .

ويتوقع العلماء أن صدي صوت الانفجار العظيم ما زال ينطلق نحو أطراف الكون منذ بدأ التكوين. بل ونجح عالمان في تسجيل هذا الصوت في مختبر "بل" الأمريكي. إن الظروف الكونية تختلف اختلافا كبيرا عن ما يراه الإنسان في حياته اليومية ويتصوره عقله. فهناك اصقاع الكون البعيد التي تنخفض فيها درجات الحرارة حتي يتجمد كل شئ في الوجود، حتي حركة الذرات. وهناك أخرى علي النقيض ترتفع فيها الحرارة ارتفاعا شديدا لا يتصوره عقل. وقد تتلاشي الكثافة في مناطق أخرى حيث لا تزيد عن ذرة واحدة في المتر المكعب من الفراغ. ومن حسن حظ الإنسان، أنه يعيش في مكان هادئ في مجرة هادئة فلا يصلها إلا رذاذ الانفجارات الضخمة التي تجري في فضاء الكون العظيم .

كما يري العلماء أنه مع مرور الزمن، سوف تنطفي النجوم في جميع المجرات تدريجياً. ومن ثم تنخفض درجات الحرارة حتي يتجمد كل شيء ويتوقف عن الحركة. ويختفي الضوء الآتي من المجرات الإعتيادية وغيرها المجهول ... ! وهو ما يثير الغموض حول مصدره .

ورغم تقدم وسائل البحث العلمي حديثاً، إلا أن نظرية تكوين الكون ما زال يكتنفها الكثير من الغموض حيث، كما يري البعض، أن معرفة العلماء عن الكون لا تتجاوز ١% من الحقيقة. لكن هناك بعض المحاولات الجادة لشرح بعض المجهول الكونية، آخرها أن الكون سيتوقف عن التوسع، وينهار نحو الداخل. والسبب فقدان الكون للطاقة الكامنة التي تدفعه للتمدد تدريجياً، مما سوف يؤدي إلي إنكماش الكون، بفعل الجاذبية، ليعود مرة ثانية إلي صفر بدايته.

الظل الظليل



يتكون الضوء المرئي من مكونات دقيقة من الطاقة تسمى "فوتونات". وهو يسير في الأوساط الشفافة المتجانسة على هيئة موجات في خطوط مستقيمة، ومجمعة في حزم ضوئية. وتتراوح شدة إضاءته ما بين ألف إلى مئة ألف "ليومن" على المتر المربع من سطح الأرض، حسب شفافية الغلاف الجوي. والليومن هي وحدة قياس شدة الضوء المرئي، وتعرف بكمية الفيض الضوئي الذي ينبعث في الثانية على المتر المربع من شمعة عيارية واحدة. والضوء المرئي يعجز عن اختراق الأجسام المعتمة، مثلاً: الجبال والأشجار والمباني والسحب وغيرها... مكوناً ظلالاً لها. ويتكون الظل عادة، في عكس الاتجاه الذي يأتي منه الضوء المرئي .



عملية تكون الظل

ظلال الكهوف

ظلال الأشجار

والضوء المرئي عديم اللون لعين الإنسان. وهو ضوء مركب، يتكون من سبعة مكونات أو "أطيا ف" مختلفة في ألوانها وأطوال موجاتها وسرعات تردداتها. وهى على التوالي: الطيف الأحمر (أطولها موجة وأبطئها تردداً) ثم البرتقالي ثم الأصفر ثم الأخضر ثم الأزرق ثم النيلي ثم البنفسجي (أقصرها موجة وأسرعها تردداً) وهى الألوان التي نراها في السماء عند ظهور أشعة الشمس في يوم مطير، والمعروفة باسم "قوس قزح".

التعرض المباشر لضوء الشمس في يوم شديد الحرارة ولمدة طويلة جداً (أي أكثر مما يُحتمل) يُصيب جلد الإنسان بأمراض عديدة، منها: الحروق والحساسية والإكزيما والأورام السرطانية الخطيرة .

لقد قَسَمَ الله مخلوقاته العديدة إلي نوعين: أولهما هو ما نراه ونشاهده في عالمنا. أما النوع الثاني فيشمل ما لا نراه، كعالمي الملائكة (المخلوقة من النور) والجن (المخلوق من نار السموم) لخروجها عن نطاق الإحساس البصري بالعين المجردة :

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (الحجر ٢٧)

فضوء الشمس مثلاً، نري منه جزءاً ضئيلاً هو طيفه المرئي بألوانه السبعة المعروفة (كما أسلفنا). وهناك أيضاً، منطقتان غير مرئيتان، إحداهما قبل أطيافه السبع والأخرى بعدها: الأولى تُسمى " تحت الحمراء " و تأتى قبل منطقة الطيف الأحمر. والثانية تُسمى " فوق البنفسجية " وتأتى بعد الطيف البنفسجي. والأشعة تحت الحمراء أشعة حرارية (موجتها أطول من موجة الطيف الأحمر) فهي التي تجعلنا نشعر بالدفئ عندما نتعرض لضوء الشمس. ولهذا فهي تُستخدم في عمليات التدفئة والتجفيف (في الصناعة والزراعة) وفي عمل الأفران والصوبات .

أما أم بالنسبة للأشعة فوق البنفسجية، ففيها منافع كثيرة للأحياء بالتعرض لها في حدود معينة. وفي نفس الوقت فيها ضررا بالغاً لهم إذا تجاوزت هذه الحدود. لأنها تدمر خلايا الجلد الحية إذا تعرضت لها لساعات عديدة أو أسبوعاً استخداماً. فتصيب الجلد بمرض السرطان الأسود، لتواجد صبغة الميلانين السوداء به، واحتراقه Melanotic cancer or Melanoma (راجع موضوع جلد الإنسان وعمله، فيما بعد). ويبدأ بالوجه ثم الذراعين ثم الساقين وهكذا..... كذلك تصيب العينين بمرض "الساد" (المياه البيضاء)، وأيضا الجهاز المناعي في الجلد. لذلك يَمَنُ الله علينا بأن جعل لنا مما خلق، ظلالاً لحمايتنا من المرض والهلاك .

ويجب العمل بنصيحة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتي تقول :

[إذا كان أحدكم في الشمس - أي في وضوح النهار - فقلص عنه الظل، فصار بعضه في الشمس وبعضه في الظل فاليقم]. (أخرجه أبو داود في سننه) .

ولقد هيأ الله لمخلوقاته علي الأرض حياة آمنة عن طريق صمام أمان بغلافها الجوي، وهو غاز الأوزون الذي يسمح بمرور ما يكفي حاجة الأحياء دون زيادة أو نقص، وذلك عن طريق تحلله بواسطة الأشعة فوق البنفسجية الزائدة إلي أوكسجين، كما أسلفنا. أما الأشعة فوق البنفسجية اللازمة فهي مفيدة في إبادة الجراثيم والميكروبات، وحفظ وتعقيم المواد الغذائية المحفوظة، وغرف العمليات الجراحية، وغمر غرف منازلنا بأشعة الشمس. كذلك أفادت في صناعة المصابيح الفلورية (أو الفلورسنت) ذات الضوء الأبيض، والمجاهر (الميكروسكوبات) لرؤية أدق المراتب التي لا يمكن رؤيتها بالمجاهر العادية .

فالظل هو أحد نعم الله، سبحانه وتعالى، علي عباده من المخلوقات المتحركة في السماوات والأرض وما بينهما (أي من الأجرام والملائكة والنبات

والحيوان والجن والإنس). فجعل لهم من الأشجار وغيرها (مثل كهوف الجبال والثياب والدروع) ظلالاً ومساكن ولباساً تقيهم شر الحر، وتصونهم من قسوة الطقس، والاعتداء الخارجي والحروب. مما يستحق له منهم العبادة والسجود شكرًا، والخضوع لإرادته طوعاً أو كرهاً لما يحل بهم. حتى ظلالهم، وما يحدث لها من تغير أثناء النهار، خاضعة لأمره تعالى :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ بَأْسِكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾

(النحل ٨١)

﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴾

(الرعد ١٥)

ويمكن تعريف الظل طبقاً لعالم الإنسان وعلمه الحديث المتواضع (الإسراء : ٨٥) ، بأنه خيال كل شيء معتم أثناء نور النهار البارد. وظلمة الظل خفيفة (لأنه إنخفاض في شدة الضوء المرئي وليس غياب كامل له) وحرارته باردة لطيفة :

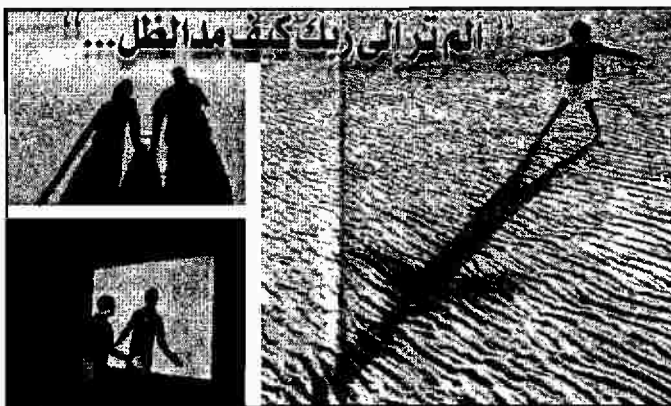
﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۖ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۖ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴾

(فاطر ١٩-٢١)

لذلك فإن ملاحظة الظل ليست سهلة، والذي يثبت وجوده أشعة الشمس الذهبية الحارة. والظل ليس بساكن، وحركته من قصرٍ وطول أو ضيق وإسراع، حسب أوقات النهار صباحاً وقبل غروب الشمس (كما جاءت بالقرآن الكريم منذ ١٤ قرناً) :

﴿ وَظِلٌّ مَّمْدُودٍ ﴾

(الواقعة ٣٠)



ثم وضحها علمنا حديثاً، فلقد ثبت أن حركة الظل تدل علي دوران الأرض الكروية حول الشمس (بسرعة ٣٠ كيلومتر في الثانية) مرة كل سنة، وكذلك دورانها حول نفسها (أي محورها، بسرعة ٣٠ كيلومتر في الدقيقة) مرة واحدة كل يوم :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴿

(الفرقان ٤٥-٤٦)

ولولا ذلك ما تكون الظل ولا إمتد ولا قصر، ولا تبادل الليل والنهار، ولا تتابعت الفصول المناخية الأربعة (التي سبق ذكرها) ولا أمكن حساب الزمن، ولما بدت الأشياء المجسمة واضحة الملامح .

عند كل من شروق الشمس وغروبها، فإن أشعتها تظهر في مستوى الأفق. فتخترق سمك الغلاف الغازي الكبير، فتنتشت الأطياف القصيرة قبل وصولها للأرض، وتتركز الأطياف المتوسطة والطويلة، والتي أطولها الطيف الأحمر، فيغلب هذا اللون عند الشروق والغروب. ويصل أيضا ظل كل شئ إلى أقصى

مداه طولاً. ومع إرتفاع الشمس فوق الأفق يتقاصر طول الظل يسيراً (أى تدريجياً) حتى الظهيرة، عندما تتعامد الشمس وتصبح فى الوضع الأقرب إلى الأرض الكروية (المفلطحة عند قطبيها) فيغلب لون الطيف الأصفر القصير الموجة، وتزداد حرارتها، ويتقاصر طول الظل إلى أقصر طول له. ويختفى الظل (كما قال المولى جلّ وعلا) مع غياب الشمس (أى بعد غروبها). إذا فالظل يتبع حركة صاحبه إذا كان متحركاً، وكذلك يتبع حركة مصدر الضوء المسبب له. والمزولة الشمسية (أول جهاز إستخدمه الإنسان لقياس الوقت) تعتمد فى تصميمها وعملها على حركة الظل التدريجية .

ويعتبر كل من كسوف الشمس وخسوف القمر صورة من صور تكون الظل، الذى يحدث بمرور الأرض فى ظل القمر، أو بمرور القمر فى ظل الأرض. وكذلك تتكون منازل القمر المتتالية من المحاق تزايدياً إلى الهلال الأول ثم التربيع الأول ثم الأحدب الأول ثم إلى البدر الكامل. ومثلها تناقصياً من البدر الكامل تدريجياً إلى المحاق كل شهر، نتيجة خروج نصف القمر المواجه للأرض تدريجياً من ظلال نصفه الآخر، ثم دخوله تدريجياً فيها (كما أسلفنا) .

وعند قيام الساعة، تفقد المجموعة الكونية إترانها من سماوات وأرض وما بينهما وما تحت الثرى (طه : ٦) . وتموج البحار والمحيطات وتتصل ببعض، وتصبح الأرض غير الأرض، وتميد الجبال وتتفتت حتى تصير كالغبار المتطاير :

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَازِبَةٌ ۖ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۖ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ ﴾

(الواقعة ١-٦)

وتلفظ الأرض ما فى باطنها من قبور . وتبعث الموتى فى أسراب كالجراد مسرعين للقاء الله :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثِرَتْ ﴿٤﴾ ﴾

(الانفطار ١-٤)

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾

(يس ٥١)

﴿ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٦﴾ ﴾

(القمر ٧)

وتختفى أوتشف كل المواد المعتمة (أي تصبح شفافة) وتذهب ظلالها ولا يبقى إلا ظل ربك الدائم وظلال جناته .

ولقد بشر الله سبحانه وتعالى المؤمنين المتقين الذين عملوا الصالحات (أي أصحاب اليمين) بأنه سيحييهم حياة ناعمة، في جنات النعيم التي تجري تحت أشجارها الأنهار، وفي ظل ظليل دائم وسابغ :

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾

(النساء ٥٧)

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٥٨﴾ ﴾

(الرعد ٣٥)

﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

(يس ٥٥-٥٦)

أما الأشقياء الكفار اللاهين عن طاعة الله (أي أصحاب الشمال) فقد وعدهم الله بعذاب أليم في جهنم :

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

(يس ٦٢-٦٣)

وفي ظل من دخان حارمتشعب لعظمه، شديد السواد وغير قابل للإستشاق، فهو لا ظليل ولا يقى من الحرارة :

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٦٤﴾ فِي سَمُومٍ وَخَمِيمٍ ﴿٦٥﴾ وَظِلٍّ مِّنْ حُمُومٍ ﴿٦٦﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾

(الواقعة ٤١-٤٤)

وصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم حين قال (عن أبي هريرة) :

[سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل - وشاب نشأ في طاعة الله تعالى - ورجل قلبه معلق بالمساجد - ورجلان تحابا في الله أجمعا عليه وتفرقا عليه - ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله - ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه - ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه] .

خلق الإنسان و الأحياء الأخرى

خلق الله جميع مخلوقات الأرض الحية (النبات والحيوان والإنسان والبشر) من بداية واحدة، وهى العناصر المتعددة بتراب الأرض والماء. إذًا فالأحياء متصلة بعضها ببعض، فالصلصال أو الطين اللزج (ماء الأرض مع تراب قشرتها) مع النفخة الإلهية كونت المخلوق الحى على إختلاف أنواعه وأشكاله .



لقد بدأت الحياة علي الأرض منذ حوالي ٤٠٠٠ مليون سنة مضت. وعاشت النباتات في مياه البحار والأنهار قبل أن تغزو سطح الأرض. وكان أغلبها من الطحالب والأعشاب البحرية. وبالتطور التدريجي نشأت منها نباتات اليابسة عن طريق مياه المد، التي كانت تغطيها بانتظام. فمن تراب الأرض أخرج الله النبات والحب والثمار والبذور والنوى والمرعى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴾

(فاطر ٢٧)

إذا فوجود التربة على سطح الأرض هو سبب إنتشار النبات، لأن الأرض الصخرية والرملية لاتصلح لنمو النبات بغض النظر عن الجو والأمطار. ومع هذا فالصخر الذى يتكون من الطين المتصلب أو السيليكا (الحجر الصوان) عادة يحفظ النبات الواقع فيه قبل تصلبه ويسمى "أحفورة نباتية"، كما أسلفنا. ولنبات الأرض طبقة رقيقة (أو أدمة من الكيوتين) غير منفذة للماء. وهى تحفظه من الجفاف بواسطة البحر. ولقد هيأت القدرة الإلهية لهذه النباتات، الفرصة لتقوم بنفسها بإعداد المواد العضوية اللازمة لنموها، من مركبات غير عضوية بسيطة من البيئة المحيطة بها (أرض وسماء وهواء وشمس) فتحصل على الماء والأملاح القابلة للذوبان من التربة، وعلى غاز ثانى أكسيد الكربون من الهواء، وعلى الطاقة من الشمس. وتتولى النباتات بنفسها عملية بناء الأنواع المتعددة من المركبات العضوية المعقدة مثل: الكربوهيدرات والبروتينات والدهون والفيتامينات والهورمونات والإنزيمات والأحماض العضوية وغيرها. ولذلك تعتبر النباتات إحدى المصادر الأساسية لغذاء الإنسان والحيوانات آكلة النبات والأعشاب، ومصدر الطاقة الحيوية فى أجسامها .



بعد ذلك خلق الله سبحانه الحيوانات البحرية غير الفقارية، ثم الأسماك، ثم



البرمائية. وبالتطور التدريجي نشأت زواحف البحر والبر والجو، مثل الديناصور (الديناصور هو سحلية ضخمة ، ولقد عثر على عظام ثائي أضخم ديناصور عاش في جنوب الواحات البحرية بالصحراء الغربية بمصر وقتما كانت هذه المنطقة مطيرة وبها بحيرات وأشجار. وكان إرتفاعه حوالى ٢٨ متراً ووزنه يصل

إلى ٧٠ طناً . وكان يتميز بالرقبة الطويلة، والرأس الصغير، والذيل الطويل، ويعيش على النباتات). ثم نشأت الحشرات والطيور، والحيوانات الثديية والثديية المشيمية، والبرية الأليفة وذوات الحوافر، والمفترسة والقارضة والخرطومية والحيتان، ثم القردة .

وأخيرا خلق الله (جلَّ وعلا) الإنسان والبشر، أرقى مخلوقاته، من طين (أى من تراب الأرض ومائها) :

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝ ﴾

(السجدة ٧)

﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ۝ ﴾

(الروم ٢٠)

ومن أقوال المصطفى، صلى الله عليه وسلم :

[الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب] رواه الترمذي .

وبموت الإنسان يعيده الله إلى أصله (أى إلى تربة الأرض) وهو سبحانه قادر على إخراجها منها مرة ثانية يوم القيامة :

﴿ وَاللَّهُ أَتَبَّكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۖ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۖ ﴾ (٧)

(نوح ١٧-١٨)

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۖ ﴾ (٨)

(يونس ٤)

الصورة التالية تبين:

عدادات الأجل فى داخل الخلية الحية، حيث الأغذية الطرفية لكل جسم صبغى (البقع الصفراء) تحدد الأجل بتناقصها التدريجى مع كل إنقسام للخلية حتى ينتهى الأجل مما يدعو إلى تسميتها باسم عدادات الأجل (Longivity Meters).

إن لبنة كتلة جسم الإنسان هى " الخلية " الحية، وهى دقيقة (لا ترى بالعين المجردة ، قطرها ٠،٠٣ من المليمتر فى المتوسط)، وهى متعددة الأنواع والأشكال. فضلا عن أنها معقدة التركيب ، وقابلة للنمو والتجديد عن طريق الهدم والبناء، وبصفة مستمرة مع طول العمر (فيما عدا خلايا الجهاز العصبى، فيولد بها الإنسان ويعيش بها دون تبدل حتى الموت). إذا فخلايا أجسامنا تموت وتجدد مرات ومرات طالما الجسم حيا (يونس: ٤. الروم: ١٩، ٢٧) منها :

﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الِّمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ ﴾ (الروم ٢٧)

ويتخلص الجسم من الخلايا الميتة عن طريق أجهزة الإخراج فيه، فتعود إلى تراب الأرض .

تتكون الخلية من جدار غشائي رقيق ومسامي، لكي ينظم عبور مختلف المواد من داخل الخلية إلى خارجها وبالعكس. وهو يضم السائل الخلوي الذي يُعرف باسم "السايٲوبلازم". و تسبح فيه نواة الخلية التي تحمل الصفات الوراثية لها، والتي كذلك تتحكم في جميع أنشطتها الحيوية، مثل النمو والتكاثر، عن طريق الإنقسام. وبدون هذه النواة تصاب الخلية بحالة من الفوضى، مما ينتج عنها: إما الإنقسام السريع العشوائي فتكون الأورام. وإما الإنقسام البطئ فتصاب الأنسجة بالوهن والضمور :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝ ﴾

(القمر ٤٩)

ويكون الماء أهم وأكبر مكونات الخلية، بنسبة ٦٧% :

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾

(الأنبياء ٣٠)

أما بقية مكونات خلايا الجسم (٣٣%) فأغلبها من العناصر الأساسية وعددها ست: الأوكسجين والكربون والهيدروجين والنايتروجين والكالسيوم والفوسفور. أما بقية المكونات فهي أيضا من العناصر ولكنها تعتبر إضافية (٦٦-، %) وعددها ثمانية: الصوديوم والبوتاسيوم والكبريت واليود والحديد والنحاس والماغنسيوم والمنجنيز .

خلق الله البشر (أى الإنسان الذي حباه الله بقدرة منه، هي العقل والتعقل) لكي يكون حرا في أفعاله، ولذلك كان مسئولا عن تصرفاته، وفي اختياره بين الأيمان بخالقه أو الكفر به. وهذا الذي جعله يتحمل هذه الأمانة (أى المسئولية والتكاليف من أوامر ونواه) دون خلق الله الأخرى من الكائنات، كما جاء بالقرآن الكريم :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيَّتَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٦٦)

(الأحزاب ٧٢)

لذلك جعل الله طلب العلم (أو التعلم) فريضة علي كل إنسان. وبذلك يستطيع تسخير علمه وفكره من أجل خير الإنسانية وتقدمها. ومن هنا كانت أول كلمة من الوحي الإلهي علي رسول الله محمد، وهي " اقرأ " موجهة لمخاطبة عقله:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٩٦)

(العلق ١-٥)

وعند مرحلة عمرية معينة للإنسان، ولأسباب مختلفة تصاب خلاياه الحية بظواهر تميزها بطريقة منظمة، أو مبرمجة، في مكان وزمان غير معلوم، يستحيل معها نقادي أو تأخير هذا الموت الحتمي الإلهي :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ۚ ﴾ (٢٨)

(الأعراف ٣٤)

الموت هو مفارقة الحياة وهو مصير محتوم على كل حي بتقدير من المولى عز وجل ، فلا يتقدم أو يتأخر عنه أحد .

﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾

(الواقعة ٦٠)

فتقدير الموت، عملية مبرمجة في الشفرة الوراثية عند خلق الجنين، وكذلك صفاته السائدة التي سوف تظهر عليه في مستقبل حياته المقدره له، ومنها أجله ورزقه وعمله، وشقى أم سعيد. وبإستثناء الحوادث التي تنتج عنها إصابات قاتله، فإن الموت يدب بالتدريج في كل جسد حي، مبتدأً من خلاياه، فأنسجته ثم أعضائه، ومنتهياً بأنهيائه إنهاراً كاملاً. والذي يعلن طبيباً بتوقف كل من القلب والرئتين عن العمل، وانتشار الزرقه في الأطراف والشفاه، وتوقف حركة العينين. وإنخفاض في درجة حرارة الجسم وتصلبه، وظهور عدد من البقع الدموية على الجلد . وعلى كل، فإن الموت الحقيقي يتحدد بموت الدماغ، الذي من ظواهره الإغماء الكامل. ولقد لوحظ أن بمجرد فقد الخلية الحية لقدرتها على الإنقسام، فإنها تبدأ في الإحتضار عن طريق إنفجارها وإنفجار نواتها.

وفي يوم القيامة يبعثه الله، سبحانه، ويعيده للحياة من جديد. إن أول بعث للموتي من القبور يكون نتيجة هطول مطر خاص، كما يقول الصادق المصدوق:

[يُنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبِتُ الْبَقْلُ]. عن أبي هريرة .

فيهب الموتى علي اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم من كل صوب، كأسراب الجراد المنتشرة والكثيفة العدد، مسرعين في اتجاه واحد، هو الإتجاه الذي يؤدي إلي ربهم الواحد الأحد .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(الأعراف ٥٧)

﴿ خُشْعَةً أَبْصَرُهُمْ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۖ ﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿

(القمر ٧-٨)

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم :

[يُبعث كل عبد علي ما مات عليه] عن جابر بن عبد الله .

أي يبعثه الله علي الهيئة التي مات عليها .



لقد ثبت علمياً، أنه بمجرد إخصاب ببيضة الأنثى (أي خلية التكاثر الأنثوية) بواسطة الحيوان المنوي (أي خلية التكاثر الذكورية) تبدأ "النفطة الأمشاج"، أي المختلطة (زايغوت zygote) في الانقسام حتي تتكون "الكيسة الأرومية". وهذه بالتالي تنغرس في جدار رحم الأنثى مكونة "العقدة"، حتي يظهر الخيط (أو الشريط) الأولي وبه عقدة في نهايته .

فيحدد موضع ظهورهما مؤخرة الجنين. ثم يبدأ هذا الخيط والعقدة الأولين (أو المنظم الأول) في تنظيم عمليات تخلق جميع أعضاء وأجهزة الجنين، وأولها الجهاز العصبي. هذا، ولما أدرك علماء الأجنة أن خلايا الشريط الأولي قد وهبها الله، سبحانه وتعالى، قدرات فائقة علي عملية التخليق، أطلقوا عليها أسم "خلايا الشريط الأولي ذات القدرات المتعددة". وبعد تمام نمو جميع أجهزة الجسم، ينسحب الشريط الأولي، بعد إنكماشه السريع، ليختزن في نهاية العمود الفقري (العصعص). ولقد ثبت أن هذا المنظم الأول (أو عجب الذنب) لا يتأثر بالسحق والغلي والحرق .

هذا، ولقد تبين أن عجب الذنب يتكدس علي هيئة عظمة واحدة في نهاية العصعص بحجم حبة الخردل، وهو لا يبلي أبدا .

قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في كيفية البعث (عن أبي هريرة) :

[كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب.]

[ليس من الإنسان شئ إلا يبلي إلا عظما واحدا هو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة.] صدق رسول الله .

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ۖ ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۖ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ۖ ﴿٤٧﴾ ﴾

(النجم ٤٤-٤٧)

إن علوم الأحافير الإنسانية والآثار والأجناس والطب في عصرنا الحديث تؤيد أنه لم يعثر علي أي أثر لمخلوق إنساني كان يعيش علي الأرض قبل ٦٠٠ ألف سنة (٦٠٠٠ قرنا) أي قبل العصور السحيقة .

هنا نحب أن نبين أن العلم الحديث، الذي نستعين به اليوم، لا يقوم علي النظريات الفكرية القابلة للصواب والخطأ بناتا، ولكن يعتمد أساسا علي اكتشافات علماء الآثار والتنقيب، وعلي التجارب المختبرية والملاحظة والإستنتاج .

فالمراجع الدينية، بما فيها الكتب السماوية، لم تؤيد هذه الحقيقة العلمية، فيما عدا - من وجه نظري - القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي أنزل قبل عصر نهضتنا العلمية الحديثة بأربعة عشر قرنا مضت. فهو لم يغلق الباب في وجه هذه الحقيقة العلمية، بل أستطيع أن أقول أنه نوه عنها بلغته العربية الخاصة، وبللمسة منه رقيقة وخفية لا تغيب عن قلب كل مؤمن بخلق الله القادر، الذي وسع علمه كل شيء .

الرأي العلمي :

لقد بدأ الخلق الأول للإنسان في العصور السحيقة، أي منذ أكثر من نصف مليون سنة ، أي في الحقبة القديمة (جيولوجيا في العصر الحجري القديم ، باليوليتيك ، من ٦٥٠ - ٨ آلاف سنة قبل الميلاد) . ولقد دلت علي ذلك النقوش الغربية التي رسمها هذا الإنسان علي جدران كهوفه، وكذلك حفريات التنقيب عن مقابر جنث الإنسان أوبقاياه المتحجرة . وأيضا الآثار التي ضمت الأدوات والأواني والأسلحة ومخلفات القبور (مثل: جماجم إنسان جاوه وإنسان بيكين ، التي عثر عليها بشرق آسيا وشرق ووسط أفريقيا، والتي قدرت أعمارها علميا من ٦٠٠ - ٢٥٠ ألف سنة مضت. ثم إنسان "تياندرتال" بجنوب أوروبا والشرق الأوسط والعراق (من ٢٥٠ - ١٠٠ ألف سنة ، ثم إنسان "الكرومانيون" بجنوب ووسط أوروبا وروسيا وأمريكا) من ١٠٠ - ١٠ ألف سنة قبل

الميلاد) . ويبدو أن سلالات هذا الإنسان المتعاقبة بدأت حياتها بالمناطق الأكثر إنخفاضاً ودفناً في الأرض، حيث تكثر المياه (كمستنقعات) والنباتات والأشجار والحيوانات، وكلها سبقت الإنسان في الخلق علي الأرض. أما مناطق العالم الأخرى فكانت ميدانا من الجليد يصعب إستيطانها، وقد تم ذلك بعد إنحسار الجليد .

قيل أن في الفيوم بمصر عاش النموذج الإنساني الأول منذ ثلاثين مليون سنة. بعد ذلك مر هذا الإنسان في سلسلة تطورات مرحلية إلي أن بدأ يأكل النباتات واللحم، وينطق ويفكر. هذه التطورات المثيرة أعلنت في مؤتمر علمي دولي في باريس، عام ١٩٨٤م.، للبحث عن مفهوم بالقرن العشرين لنشوء الإنسان الأول وتطوراته. وبالإعتماد علي نتائج الفحوص والتحليل التي أُجريت علي بقايا وجماجم الهياكل العظمية للإنسان، التي اكتشفها علماء الآثار، يبدو أن تطور الإنسان مر بأربعة مراحل كبيرة تنتهي "بالإنسان الحاذق" (هومو هابيلوس). ومنها إنبتق "الإنسان البناء" (هومو أريكتوس) وبعد ذلك ظهر الإنسان الأول (الهوموسابينس) وهو الأقرب للإنسان الحديث.

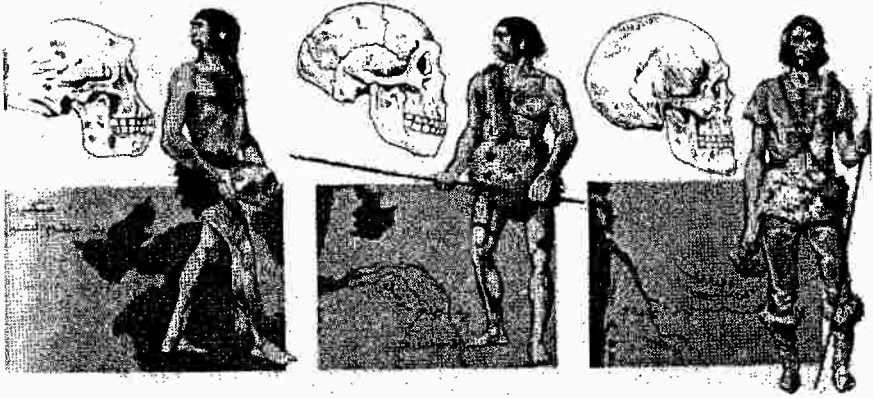


بجانب الشبه بين آخر أطوار الإنسان الأول (الهوموسابينس) والإنسان الحالي من بني آدم ، إلا أنه قد لوحظ قلة إرتفاع جبهة رأسه (أو إنسحابها إلى الخلف) وبالتالي صغر حجم جمجمته، وعليه صغر حجم مخه . فقد كان هذا الإنسان (وذريته) تقوده قوة غرائزه وشهواته وذكائه الفطري، ليعيش حاضره فقط ولم يفكر في مستقبل حياته ومعيشته . ولهذا كان همجيا وهداما وسافكا للدماء . ومن الثابت أنه كان يعيش علي الصيد فقط،

وذلك من الكميات الكبيرة من بقايا عظام الحيوانات التي كانت تجاور بقايا عظامه. وكان يأكل طعامه (المكون من النباتات واللحم) نيئًا في البداية، ثم عرف النار مصادفة عن طريق حك الخشب الجاف مع بعضه، ثم بقدر الحجارة الصلبة، مثل حجر الصوان (أي السيليكا أو أكسيد السيليكون) وكذلك التي بها خام الحديد مثل البايرايت (أوكبريتيد الحديد). فكان الإكتشاف طفرة هامة في تطوره. ولقد تميَّز بقامته المستقيمة الطويلة، وبجمجمته الأضخم وبمساحة وجهه الأوسع. يلاحظ هنا أن كل شيء نسبي حتي الآن.... والمسألة لا تزال متعلقة بمستجدات الإكتشافات الأثرية. لذلك فإن كل الاحتمالات مستقبلا تبقى واردة وقابلة لإعادة النظر....



حاجه الميرزا بنو و بنته و هم . و خواهر حاجه .



لقد أكد علماء الأجناس حديثاً، ملاحظة قصر جبهة الإنسان الأول . وأنبتوا أن متوسط حجم جمجمة سلالات الخلق الأول للإنسان يقل من ٥٠ - ٢٥% من متوسط حجم جمجمة الإنسان المعاصر من بني آدم . وأن جميع سلالات هذا الخلق الأول للإنسان قد إنقرضت وإختفت تدريجياً من علي سطح الأرض بعد حين من الزمان .

إن علم وظائف الأعضاء قد بيّن لنا أن الجهاز العصبي في جسم الإنسان المعاصر يتكون من ثلاثة أجزاء :

أ- الجهاز العصبي المركزي :

يتكون من المخ والمخيخ ويستقران داخل الجمجمة، والنخاع الشوكي ويوجد داخل القناة الشوكية في العمود الفقري لحمايتها وذلك لأنهما أكثر الأعضاء رقة ورخاوة علي وجه الإطلاق. ويعتبر هذا الجهاز مركز إصدار الأوامر، وفيه تتم تفاعلات الإحساسات الناتجة من الإثارة، وكذلك ظواهر الفكر والإرادة .

ب- الجهاز العصبي الإرادي الطرفي :

يتضمن الأعصاب الزوجية التي تتصل بالمخ والنخاع الشوكي، وتصل إلي كل أعضاء الجسم. تغادر هذه الأعصاب الجمجمة من الداخل عبر ثقب

صغيرة، وتمر خلال الأنسجة وتتوزع علي أعضاء الجسم وعضلاته. بعض هذه الأعصاب يحمل الرسائل التي تجعل عضلات الجسم تؤدي عملها. والبعض الآخر يحمل رسائل الحس، في الإتجاه المضاد، مثلاً من الجلد والعضلات إلي المخ والنخاع الشوكي، حيث تسجل إحساسات اللمس والضغط والحرارة والبرودة .

ج- الجهاز العصبي الذاتي (اللاإرادي) :

يتكون هذا الجهاز من أعصاب تتحكم في وظائف الجسم التي تعمل ذاتياً أو تلقائياً، مثل حركة الأمعاء حينما تهضم الطعام، والتنفس، وضغط الدم، ودقات القلب (النبض) والبلع .

الأغلفة :

يغلف كل من المخ والمخيخ والنخاع الشوكي في ثلاثة أغلفة :

يسمي الداخلي منها "الأم الحنون" حتي لا تلامس عظام الجمجمة أو العمود الفقري مباشرة. هذا الغلاف رفيع جداً، أبيض ودقيق، ويلتصق بسطح الأنسجة العصبية، والتي يرسل فيها العديد من الأوعية الدموية المغذية للأنسجة العصبية.

أما الغلاف الوسطي فيسمي "الأم العنكبوتية" التي تنفصل عن "الأم الحنون" بمسافة مملوئة بسائل خاص كطبقة حامية حول المخ والنخاع الشوكي .

أما الغلاف الخارجي فهو غشاء بالغ المتانة، ويسمي "الأم الجافية" الذي يلتصق بالعظام .

الأعصاب الحسية :

تحمل هذه الأعصاب رسائل أو إثارات الحس من أعضاء المناطق الحسية بالجسم إلي المخ، أي في اتجاه الجهاز العصبي المركزي. (مثل : الجلد- إحساس اللمس والضغط والحرارة والبرودة. الأنف- الشم. العين- النظر. الأذن- السمع وهو مكون من جزئين: القوقعي للسمع في الأذن الداخلية،

والدهليزي لنقل المعلومات من القنوات الهلالية بالأذن الداخلية بموضع الرأس وحركتها) .

الأعصاب الحركية :

تحمل الرسائل أو الإثارات في الإتجاه المضاد، أي من المخ إلي مناطق الحركة بأعضاء الجسم، والتي تجعل عضلاتها تؤدي عملها الحركي بعيدا عن الجهاز العصبي المركزي (مثل: العين وحركتها، والفك السفلي للفم، والرقبة، وتحت اللسان) .

الأعصاب المختلطة :

هناك نوع من الأعصاب ليس جديدا، ولكنه يتميز باحتوائه علي ألياف من النوعين السابقين معا، الحسية والحركية، وتسمى بـ "الأعصاب المختلطة".
مثل:

العصب التوأمي الثلاثي- ويحتوي علي ألياف حسية من الوجه، وألياف حركية التي تتحكم في عضلات المضغ .

العصب الوجهي- لحركات التعبير في الوجه، وعضلات تحريك الرقبة. أما ألياف الحس فتحمل أحاسيس التذوق من مقدمة اللسان .

العصب اللساني البلعومي- يمد عضلة في الرقبة، ويحمل الأحاسيس من اللسان والبلعوم .

الجهاز العصبي الذاتي (اللاإرادي) :

يتكون هذا الجهاز من الأعصاب التي تتحكم في وظائف بعض أجهزة جسد الإنسان دون إرادته. وهي تحمل الرسائل من وإلى أجزاء الجسم التي تعمل بصورة ذاتية، مثل: إنسان العين، وعضلات الأمعاء، والعصب الحائر (أو الطوائف أو الرئوى المعدي Vagus).

والعصب الحائر عصب من النوع المختلط (أي الناقل للإثارات الحسية والحركية) وهو يغادر الجمجمة مثل أعصاب الجهاز الإرادي الطرفي، كما أسلفنا، ويمد القلب بحركة خفقان عضلته المنتظم لضخ الدم ليدور في جسم الإنسان. وهو يبدأ قبل عدة شهور من ولادته ويستمر حتي مماته. وكذلك يمد الرئتين، والحنجرة، والأمعاء (أثناء هضم الطعام) بحركاتها، وهذا سر أهمية هذا العصب البالغة .

مخ الإنسان :

هو عضو رخو جدا، بيضاوي الشكل، وتتراوح كتلته بين ١-١,٥ كيلو جرام. وهو يتحكم في جميع الأنشطة الذهنية والبدنية (أي العقلية والحركية). ويتكون المخ من أعداد هائلة من الخلايا والأنسجة والخيوط العصبية التي تمتد إلي النخاع الشوكي .

غطاء المخ (القشرة) :

للمخ غطاء يسمى القشرة، وهو يتعرج بالعديد من الطيات المتداخلة، أي محفور علي هيئة أخاديد عميقة ومتعرجة. وهو يتكون من منطقتين ونوعين من الأنسجة :

المنطقة الأولى، وهي الخارجية وتتكون من مادة رمادية اللون، سمكية نسبيا، ومكونة من ثلاثة طبقات من الخلايا العصبية (الخلية العصبية صغيرة جدا ولا تري بالعين المجردة. وهي متنوعة الأشكال، ولها دائما امتداد دقيق واحد أو أكثر. هذه الإمتدادات مختلفة الطول ومعقدة التركيب، وتسمى الألياف الشبكية، وهي كذلك لا تري بالعين المجردة) :

- إحدي الطبقات تتبع منها حركات العضلات الإرادية المختلفة، مثل: القدم والأصابع، واللسان .

• وهناك طبقة ثانية، تتحول في خلاياها الرسائل العصبية الكهربائية الواردة من أعضاء الحس في الجسم، مثل: الجلد والعين والأذن واللسان والأنف والوجه، كما أسلفنا. وبالإضافة إلى ذلك فهي تتعلق بما يسمى "التشخيص التعرفي"، أي القدرة على التعرف على الأشياء الصغيرة التي توضع في اليد بدون النظر إليها.

• وهناك طبقة ثالثة، مسئولة عن الرسائل الواردة من أعضاء الحركة اللاإرادية، مثل: القلب والأمعاء والعين والرئة، كما أسلفنا .

يلاحظ أن كل منطقة حركية أو حسية في ناحية من المخ (أو الدماغ) تخدم الناحية المضادة من الجسم (فنصف الدماغ الأيمن يخدم، أو يتحكم في، نصف الجسم الأيسر والعكس بالعكس) .

المنطقة الثانية، وهي الداخلية، بيضاء اللون، وتتكون من عدد هائل من الخلايا العصبية التي تساعد على ربط خلايا المنطقة الأولى بأعضاء الحس والعضلات في كافة أنحاء جسم الإنسان. وبالإضافة إلى ذلك توجد شبكة معقدة من الألياف لربط مختلف أجزاء القشرة ببعضها ببعض .

هذا ومن المعروف أن جميع خلايا جسم الإنسان التي يولد بها، تجدد تلقائياً بعملية الهدم والبناء) فيما عدا خلايا جهازه العصبي، فالخلية التي تموت منه أثناء حياته لا تجدد أبداً .

لقد اكتشف علماء التشريح البشري حديثاً جداً ، أن الإنسان المعاصر يتحكم في كل أجزاء جسمه عن طريق مناطق رئيسية ثلاثة بمخه .

مناطق المخ الرئيسية :

(أ) **الجزء الأمامي:-** وهو الأكبر حجماً، وتتركز فيه عمليات التلقي من جميع مراكز الحس في الجسم، وعمليات تحليلها وتكاملها والتنسيق بينها. كما تتركز

فيه جميع الأنشطة الذهنية والسلوكيات الذكية. وينقسم بالتالي هذا الجزء إلي أربعة فصوص رئيسية، لكل منها وظائفه الخاصة به :

١- الفص الجبهي (الفلكات - قبل الأمامية) :

يعتبر هذا الفص مركز التحكم في العواطف والمشاعر والذاكرة، وفي حركة معظم أجزاء جسم الإنسان والتنسيق بينها. ويقع فيه مركز التخيل. ولقد ثبت علميا ومختبريا أنه يحوي مراكز التفكير والتفعل والتعلم والتخطيط واتخاذ القرار. ويبدو أن الإنسان وسلوكه يعتمد علي العمل الوظيفي لهذا الفص. وتتركز هذه الصفات في غطاء (أو قشرة) مقدمة هذا الفص، الذي يقع خلف عظام الجبهة تماما في المسافة بين العينين ومنبت شعر الرأس، ويُعرف بـ "الناصية" (إنسانا كان أو حيوانا) كما جاء بالقرآن المعجز :

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾

(هود ٥٦)

﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿٥٧﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿٥٨﴾ ﴾

(العلق ١٥-١٦)

٢- الفص الجداري :

يقع خلف الفص الجبهي وبه مراكز كل من التوجيه المكاني، والتمييز بين الأشكال المختلفة، والقدرات الحسابية، والتعبير عن العواطف وفهمها .

منطقة التحكم في الحركة :

إذا نظرنا إلى المخ من أحد جانبيه ، نجد فيه شق أو أخدود عميق في القشرة ، ويمتد هابطاً من قمته إلى أسفل حتى الفص الصدغي ، وإلى الأمام حتى نهاية الفص الأمامي ، ويسمى هذا الأخدود " شق رولاندو " . وتوجد أمام هذا الشق حافة (أو الإفريز - قبل المركزي) بها هذه المنطقة الحركية لهذا الجانب من المخ. فنسيج قشرته يحتوي علي أنسجة الخلايا العصبية التي تتحكم في الحركات الإرادية لعضلات الجانب الآخر للجسم. وذلك لأن الألياف العصبية من القشرة الحركية لهذه الناحية تعبر إلي الناحية الأخرى في أثناء امتدادها إلي أسفل من الجمجمة إلي الحبل الشوكي بالعمود الفقري للجسم، كما أسلفنا .

المنطقة الحسية - وتسمى الحافة التي خلف أخدود " شق رولاندو" بـ "الإفريز - بعد المركزي". ويتصل هذا الجزء من المخ، الذي يسمى بـ "المنطقة الحسية"، بالأعصاب التي تحمل رسائل من أعضاء الحس، مثل الموجودة في الجلد والعضلات، حيث تسجل إحساسات اللمس والضغط والحرارة والبرودة. وكما هي الحال في المناطق الحركية، فإن كل منطقة حسية تخدم الناحية المضادة من الجسم. **الحواس الخاصة -** خمسة: النظر والسمع والتذوق والشم واللمس. ويتصل كل واحد من أعضاء الحس الخاصة، وهي: العينان والأذنان والأنف ونوؤات التذوق في الفم والجلد بالمخ عن طريق العصب المخي الخاص بها، فيحمل الرسائل الكهربائية من العضو إلي قشرة الفلقة الخاصة به بالمخ. وهناك يتم إدراك الحس، كما أسلفنا .

٣- الفصان الصدغيان :

يوجد كل منهما أسفل الفص الجداري، وبهما مراكز التحكم في السمع وفي ذاكرتي الأصوات والكلام. إنَّ الكلام والكتابة مهارات معقدة يقوم بها المخ البشري. وهي تعتمد علي السمع والبصر. وتوجد المنطقة السمعية التي يتم بها

إدراك معني الصوت في قشرة الفلقة الصدغية (أو المركز السمعي الكلامي). وبنفس الطريقة فإن الصور البصرية للرسوم تنتقل إلي المنطقة البصرية في قشرة الفلقة المؤخرية .

وكما سبق وأن ذكرنا، يتحكم الجانب الأيمن من المخ في الناحية اليسرى من الجسم، والعكس بالعكس. بمعنى أن الشخص الذي يستعمل يده اليمنى أساساً، توجد المراكز الحسية للكلمات المنطوقة والمكتونة بمخه على الناحية اليسرى. وهذا يتم عن طريق ألياف عصبية بجزء من الفلقة - قبل الأمامية اليسرى، التي يطلق عليها أسم منطقة بروكا (اسم العالم مكتشفها) Broca's area . وعليه يطلق هذا المركز رد الفعل الحركي بإرسال التعليمات المناسبة إلي تلك الأجزاء من القشرة الحركية، التي تتحكم في عضلات الحنجرة واليد اليمنى. وتمر نبضات الإثارة التي تتبع من خلايا القشرة الحركية، عبر الأعصاب الحركية لتدفع الحبال الصوتية إلي الحركة أثناء الكلام، ولتجعل أصابع اليد اليمنى تتحرك للكتابة .

٤ - الفصل الخلفي :

يقع في مؤخرة المخ، وفي قاعدته يقع مركز الإبصار . وفوقه منطقة القراءة والذاكرة البصرية، والمنطقة المصاحبة للرؤية، والتي إذا تعرضت للتلف فإن صاحبها يري، ولكنه لا يستطيع التمييز بين ما يراه. كما أن هذه المنطقة تسيطر علي كافة أنشطة الجسم الحيوية من خلال "الغدة النخامية"، التي تقود أنشطة الهورمونات والجنس والشهية والتألم والإنفعالات المختلفة .

(ب) الجزء الأوسط من المخ :

يوجد تحت الجزء الأمامي، ويُعرف بـ "المخيخ". وهو يقوم بالتنسيق بين العمليات العصبية المعقدة، مثل : إنتصاب القامة، وحركات الأطراف .

ج) الجزء الخلفي من المخ :

يُعرف باسم "النخاع المستطيل" أو "البصلة المخية". وهو يكون مع المخيخ ما يُعرف بـ "جذع المخ"، وبموته يموت الإنسان*. وحالات موت جذع مخ الإنسان هم ليسوا مرضي ولكن في حالة موت اكلينيكي (أو سريري) أي موت متعلق بملازمي الفراش. فهم في حالة "وفاة دماغية". وهى الحالة التي إذا فصلت عن أجهزة التنفس الصناعي، تصبح غير قادرة علي الإستمرار في التنفس، وتموت بعد دقائق لعدم قدرتها علي التنفس وبالتالي علي الحياة، حتي لو كان القلب ينبض أو يتحرك لا إراديا. وجذع المخ كذلك يصل المخ والمخيخ بحبل النخاع الشوكي (الموجود داخل العمود الفقري بظهر الإنسان) ليكونوا معا الجهاز العصبي المركزي، كما أسلفنا .

النخاع الشوكي :

يتكون من مادة رخوة بيضاء اللون في الخارج، ورمادية في الداخل. تمتد كتلة المخ إلي الخلف في جزء "النخاع المستطيل" الذي يستمر بعد ذلك في شكل حبل طويل، يسمى النخاع الشوكي، داخل قناة يكونها العمود الفقري أو عظام الظهر. ويصبح الحبل أرفع في الجزء الأخير منه .

إن منطقة الفص الجبهي لها أهمية خاصة في الإنسان المعاصر، لأنها تشبك في عمليات التذكر والتعلم والذكاء والاختيار والتخطيط، فتعطي القدرة علي إتخاذ القرارات والشعور بالمسؤولية، كما أسلفنا . وهي التي تميز مخ البشر، لعدم تواجدها في أمخاخ سلالات الخلق الأول للإنسان . كما أنها المسببة لإتساع جبهة الإنسان الحالي من بني آدم، وبالتالي كبر حجم مخه وجمجمته عن أحجام جماجم سلالات الخلق الأول للإنسان . من هذا يتبين أن ذكاء سلالات الخلق الأول للإنسان كان فطريا، أما ذكاء الإنسان المعاصر فهو عقلي .

يلاحظ أن مناطق كثيرة من المخ البشري، حتي عصرنا الحالي، لا تزال لغزا لم يتوصل العلماء بعد إلي حله.... !

* المرجع : ٢٧ . وفي جريدة الأهرام : ا.د. حمدي السيد، ص ١٠ (١١ مايو ٢٠٠٧ م.). ا.د. فرانك دليمنكو بجامعة هارفرد، بوسطن أمريكا، جريدة الأهرام (٢٥ مايو ٢٠٠٧).

الرأي الديني :

﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ ﴿

(الرحمن ١-٧)

إن كتاب الله الكريم يحتوي علي قدر كبير من العلوم والمعرفة ، لا نهاية له . فهو يتمشي مع كل زمان وعصر ، وكل مكان وبيئة ، وهو لازم لكل الناس علي إختلاف ألسنتهم وألوانهم ، ومدى علمهم ، حتى يتبينوا أن ما جاء به هذا القرآن هو الحق :

﴿ سَتَرْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ﴿

(فصلت ٥٣)

إن من يقرأ القرآن ويجتهد في فهمه لابد وأن يكون علي قدر من علوم الدين والدنيا . فالقرآن لغة إلهية سامية ينفرد بها عن سائر الكتب السماوية الأخرى . وأحيانا تكرر الأسماء العامة تاركة معناها الدقيق المقصود لفطنة القارئ ، وهذا سر عظمتها وإعجازها .

﴿ كَتَبْنَا نُزْلَهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّدَّبَرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿

(ص ٢٩)

جاءت كلمة " الإنسان " في القرآن الكريم كاسم عام لكائن حي من كائنات الله علي الأرض بدون تخصيص أو وصف محدد وترك التعريف الدقيق لفطنة القارئ ومن سياق الكلمات ، وذلك لكثرة ذكرها (٦٥ مرة) ، لهذا أطلقت علي

الجنس الإنساني، وعلي الإنسان الفرد الأول في كل نوع، وعلي النوع أو السلالة (وهي الجماعة من الأحياء التي لها صفات وراثية وعرقية موحدة)، وعلي الإنسان الفرد الحكيم وغير الحكيم .

ولعلم القارئ، هذا الأسلوب في تعميم التسمية بلغة القرآن الكريم لم يطبق فقط علي كلمة "الإنسان"، بل هناك أمثلة أخرى مثل كلمة "الأرض" (علي سبيل المثال لا الحصر) . فلقد أطلقت علي أرض مصر، وعلي الكرة الأرضية، وكذلك علي أرض كنعان (الأرض المقدسة، فلسطين) وترك التعريف الدقيق كذلك لفطنة القارئ ومن سياق الكلمات، كما نري في الثلاث آيات المتتالية الآتية من سورة الأعراف :

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ۝ ﴾

(الأعراف ١٢٧-١٢٩)

أولاً - أطلق إسم "الإنسان" علي الإنسان كجنس في قوله تعالى :

﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿٢﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿٣﴾ وَاللَّهُ أُنْتَبِذَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿٤﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٥﴾ ۝ ﴾

(نوح ١٤-١٨)

ولقد فسرت هذه الآيات بأن الله قد خلق الإنسان أطوارا متدرجة نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ولحمًا (وهي ما نفسرها بخطوات ببنية لخلق الطور الإنساني، لأنها تتم عن طريق إنقسام الخلايا). علي اعتبار أن كلمة الإنسان هنا تعني الإنسان الفرد المخلوق من سلالة. وفي اعتقادي، أن كلمة الإنسان هنا تعني الإنسان كجنس له أنواع متطورة ، والدليل علي ذلك :

(أ) أن المخاطبة هنا بصفة الجمع أي كجنس .

(ب) أن الله علي لسان نوح شبه إخراجهم من الأرض مثل النبات كجنس (فقال نباتًا ولم يقل نوابتًا) .

فخلق الإنسان أنواعا علي مراحل متطورة ومتدرجة، أصولها من تراب الأرض ومائها . وأختار النبات في التشبيه (وليس الحيوان) ترفعا وتكريما لجنس الإنسان . فالنبات أحد الكائنات الحية كجنس له أنواع وأشكال وألوان مختلفة . خلق الله النبات أيضا من الأرض وعلي مراحل بالتطور التدريجي: من النوابت البحرية البدائية كالبيكتيريا والطحالب التي كانت تنمو علي شواطئ البحار والمستنقعات، إلى نوابت وحشائش وأشجار ونخيل اليابسة. وفي إجمال شبه الله - سبحانه - نشأة الحياة الإنسانية بنشأة الحياة النباتية وهي كالحياة الحيوانية ، من حيث البداية والتطور إلى النهاية، أي الموت. وبالموت يعيد الله كل شئ حي إلي الأرض مرة ثانية، ثم يخرج مرة أخرى إخراجا مؤكدا .

وتراب الأرض هو علميا خليط معقد من المركبات المعدنية والعضوية. المركبات المعدنية مثل : السيليكا (ثاني أكسيد السيليكون أو الرمل) وأملاح عناصر الكالسيوم والماغنسيوم والحديد والصوديوم والبوتاسيوم والألومنيوم والكربون والفوسفور والكبريت والكلور والأوكسجين والهيدروجين. أما المركبات العضوية فهي تحتوي علي البروتينات والدهون والسكريات والنشا والسيلولوز. وإذا أضفنا إلي ما سلف، عدد كبير من الأحياء الأخرى التي تعيش في الأرض، مثل: الحشرات والديدان والطحالب والفطريات والبيكتيريا، يتضح

لنا أن التربة (أو الأديم) ما هي إلا مختبر للكيمياء، دائم العمل في سبيل منفعة البشر والكائنات الحية الأخرى ، وبه كل ما تحتاجه الخلايا الحية، كما أسلفنا .

وكذلك في قوله تعالى :

﴿ يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ ﴾

(الانفطار ٦-٩)

وتستمر السورة في مخاطبة الإنسان بصفة الجمع، أي مخاطبة الإنسان كجنس وليس كفرد ، بأن الله قادر علي خلق وتركيب الإنسان في أكثر من صورة أو نوع .

ثانيا - أطلق اسم "الإنسان" أيضا على الكائن (أو الفرد) الأول، أصل كل نوع أو طور . والذي بدأ الله بخلقه من تراب الأرض ومائها ، أي من الطين اليابس بأشكاله من حمأ مسنون وصلصال كالنفخ (من غير أب ولا أم) ثم نفخ فيه الروح بعد أن صورته . وأنشأ له، بعد ذلك، سلالة من الأبناء والأحفاد بالتزاوج . وذلك في قوله تعالى :

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾

(السجدة ٧-٨)

ثالثا - كما أطلق إسم "الإنسان" علي السلالة الإنسانية المخلوقة من العلاقة الزوجية (بالإخصاب) بين الأب والأم، كما أسلفنا، ووصف الخطوات البيئية لخلق الإنسان الفرد في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴿٤﴾ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾

(المؤمنون ١٢-١٤)

فبنوا الإنسان هنا قد استلوا - أي أخرجوا - من الإنسان الأب وليس من الطين •



رابعا - وأخيرا أطلق اسم "الإنسان" على الإنسان اللبنة في المملكة الإنسانية - أي الفرد الحكيم وغير الحكيم ، كما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(البقرة ٣٠)

ومن تدبر هذه الآية يتضح له أن الله - سبحانه وتعالى - قد خلق جنس الإنسان في أكثر من نوع واحد، أى أنواع بدائية بدأ بها الخلق ، وكانت تنقصها ملكة التعقل والتفكير والذكاء، وبالتالي القدرة علي التعلم. وانعكس هذا علي أسلوب حياتها ومعيشتها. فكان هذا الإنسان يعيش في الأرض فسادا ويرتكب المعاصي ويسفك الدماء، وكان يُصدر أصواتا تشبُّها بالحيوانات، ويستخدم الإشارة باليدين في معاملاته مع الآخرين، كما وصفته الملائكة طبقا لرؤيتهم له، لما خاطبهم الله لاستخراج هذه الرؤية منهم ، وذلك لأن الملائكة لا تعلم إلا ما أعلمت ، ولا تسبق في القول :

﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

(الأنبياء ٢٧)

ولقد عاشت هذه الأطوار المتعاقبة من الإنسان الأول أو البدائي لفترة طويلة من الزمان معتمدة فيها على ذكائها الفطري ، وتتحكم فيها غرائزها وشهواتها ، لذلك كانت غبية وجاهلة. ففشلت في صراعها مع الأمراض الفتاكة والوحوش المفترسة وكذلك مع الطبيعة الكونية القاسية، فانقرض كل طور منها واختفي تماما من علي ظهر الأرض مثل الدناصير . وما علمت الملائكة أن الأرض لو ملئت بهم، لا نصرفوا للعبادة تاركين الأرض خرابا بلا زراعة ولا عمارة . وعندئذ جاءهم القرار الإلهي، إني أعلم أن الأرض لا يعمرها إلا إنسان من نوع جديد لا تعلمون عنه شيئا .

لم يسكت القرآن الكريم عما ينم عن هذا الإنسان الأول، مكتفياً بوصف الملائكة له ، ولكنه نوه عنه أيضاً في أول آية من السورة الخاصة به سورة "الإنسان" :

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ ﴾

(الإنسان ١)

وتفسير هذه الآية العميقة المعني في كتاب " تفسير القرآن الكريم للأستاذ الدكتور: عبد الله شحاتة: ٧٨ - ٦٢١٧ (٢٠٠٠م) " قد أتى على هذا النوع - نوع الإنسان - زمن غير محدود لم يكن موجودا (ويقصد هنا آدم) حتى يعرف ويذكر . وفي كتاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم (الطبعة الثامنة عشرة ١٩٩٥م) : قد مضى على الإنسان حين من الزمان قبل أن ينفخ فيه الروح لم يكن شيئا يذكر باسمه ولا يعرف ما يراد منه .

وبما أن اليوم عند الله بألف سنة مما نعد على أرضنا :

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٢ ﴾

(السجدة ٥)

إذا فالحين من الدهر في سورة الإنسان هو زمن طويل جدا وغير محدود لا يعرف مداه إلا الله سبحانه ، وقدر علميا بمئات آلاف السنين .

ويصبح تفسير هذه الآية : قد مضى على هذا الإنسان، كجنس بمختلف أنواعه، زمن طويل جدا يقدر بمئات آلاف السنين لم يترك فيها شيئا أو عملا نافعا يخلد إسمه، وكان خلالها يجهل الهدف من خلقه ، ولذلك كان نسيا منسيا .

﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۝ ﴾

(مريم ٦٧)

من هذا يتضح أن هذا الجنس من الإنسان، كان بدائيا في تفكيره، أو كانت تُسَيَّرُهُ غرائزه، ولذلك لم يُذكر شيء، أو يترك أثر بإسمه، وهذا سر إختفائه وانقراضه .

ولما أراد الله - سبحانه وتعالى - أن يشير في بعض آيات كتابه الكريم المعجز إلى نوع أو طور الإنسان الجديد أو الإنسان الخاتم، وهو الإنسان العاقل المفكر والقادر علي التعلم، أختصه (لتكريمه) بإسم "البشر" وهذا يظهر بوضوح في مقارنة الآيتين التاليتين :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ ﴾

(الحجر ٢٦)

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ ﴾

(الحجر ٢٨)

هنا نجد تكرارا لم نعتده في القرآن المعجز . فهو ليس بتكرار في سور مختلفة للإعادة وللتأكيد بغرض بلاغي مختلف، أو أساليب خالصة ونغمات تشد الأذن فيها متعة للسامعين ، ولكنه تكرار في آيتين متطابقتين ومتعاقبتين تقريبا! والخلاف فقط في كلمتين اثنتين هما : "الإنسان" و "البشر" ، وبما أن القرآن الكريم كلام الله المنزل الخالي تماما من الركافة اللفظية - حاشا لله - إذا فالتكرار هنا متعمدا ومقصودا، ليلفت النظر إلى الفارق بين الكلمتين، حتى لا يختلط الأمر علي القارئ ولو لأقل درجة . فالإنسان - كما سبق وأن ذكرنا،

إسم عام يجوز إطلاقه علي الفرد العاقل وغير العاقل. كما أشار سبحانه في سورة السجدة الآية التاسعة :

﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

(السجدة ٩)

ولم يقل سبحانه العقول أو الأبواب بدلا من الأفئدة (فتعبير الفؤاد، أي القلب، يشير إلى معاني تعتمد على الغرائز والأحاسيس والعواطف، بالإضافة إلى التعقل والتفكير) وهذا هو الفرق بين الإنسان والبشر (الذي ذكر بالقرآن الكريم ٣٦ مرة). فالبشر هو مخلوق إنساني أيضا، لأنه مخلوق من طين ومن سلالة (كما هو واضح في الآيات الآتية) وفوق ذلك يتميز بقدرة الإتصال الروحي والقلبي بالله خالقه، والتلقى عنه. كما أفرد به بالتعقل والتفكير وإملاك القدرة علي النطق والتكلم، وبالتالي التعلم. هذا بالإضافة إلي إملاك الإرادة علي الإختيار بين الطاعة والشكر، والمعصية والجحود، والذي يكون جزاؤه الثواب والعقاب :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْحَيْرِ فَتْنَةً ۚ وَلِيَنَّا تَرْجِعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

(الأنبياء ٣٥)

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۚ وَكَانَ رُؤْكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾

(الفرقان ٥٤)

﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾

(الروم ٢٠)

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾

(ص ٧١)

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَٰهُ وَاحِدٌ ۚ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ﴾

(الكهف ١١٠)

وبهذا التعريف، العام للإنسان والخاص للبشر، يمكن الإجابة علي تساؤلات علماء الدين والإنسان (الحفريات) والطب والعلوم الطبيعية .

بعد ذلك أنشأ الله النوع الإنساني الجديد العاقل الخاتم، أو البشر، والذي لا تعلم الملائكة عنه شيئاً • وكرمه بخلقه من تراب أرض الجنة :

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾

(الزمر ٧٤)

جنة آدم هي، على الأرجح، حديقة وافرة الشجر والنخيل والظلال. أما جنة عدن، فهي جنة أخرى، كما جاء بالقرآن الكريم: جنة الإقامة، أو جنة المأوى، ودار الخلود في الآخرة. وهي درجات، [وخيرها أو وسطها الفردوس] ويختص فيها كل مؤمن بجنته، كما قال الصادق المصدوق (صلى الله عليه وسلم) .

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

(آل عمران ١٣٣)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾

(الكهف ١٠٧-١٠٨)

﴿ قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ؕ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ﴾

(الفرقان ١٥)

﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(السجدة ١٩)

ونفخ الروح فيه بعد أن صوره الله في أحسن صورة ليكون خليفة له في الأرض ، وطلب من الملائكة أن يسجدوا له (الحجر : ٢٨- ٢٩) وأسماء "آدم" وعلمه الأسماء كلها، أي المعرفة (بلغتنا الحالية، كما أسلفنا) وكذلك لغة الكلام (وليس الكتابة والقراءة) والله أعلم.... :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

(البقرة ٣١)

﴿الرَّحْمَنُ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾﴾

(الرحمن ١-٤)

وقال المصطفى، صلي الله عليه وسلم :

[إن آدم كان نبيا مُكلما كلمه الله قبلًا] صدق رسول الله .

إن نَعْلَمَ آدمَ الأسماء كلها، والبيان والكلام (أي قدرة التعبير شفهيًا عما يكنه في نفسه) كان مقصودا ومدبرا بواسطة الله، سبحانه، حين خلقه. وهذا يتبين من تزويد جسمه بالمخ الكامل، وبالجهاز العصبي، وبأجهزة السمع والبصر والنطق

(أي اللسان في الفم، والحنجرة في جهاز التنفس) وهي أجهزة دقيقة الحس، ومعقدة التركيب .

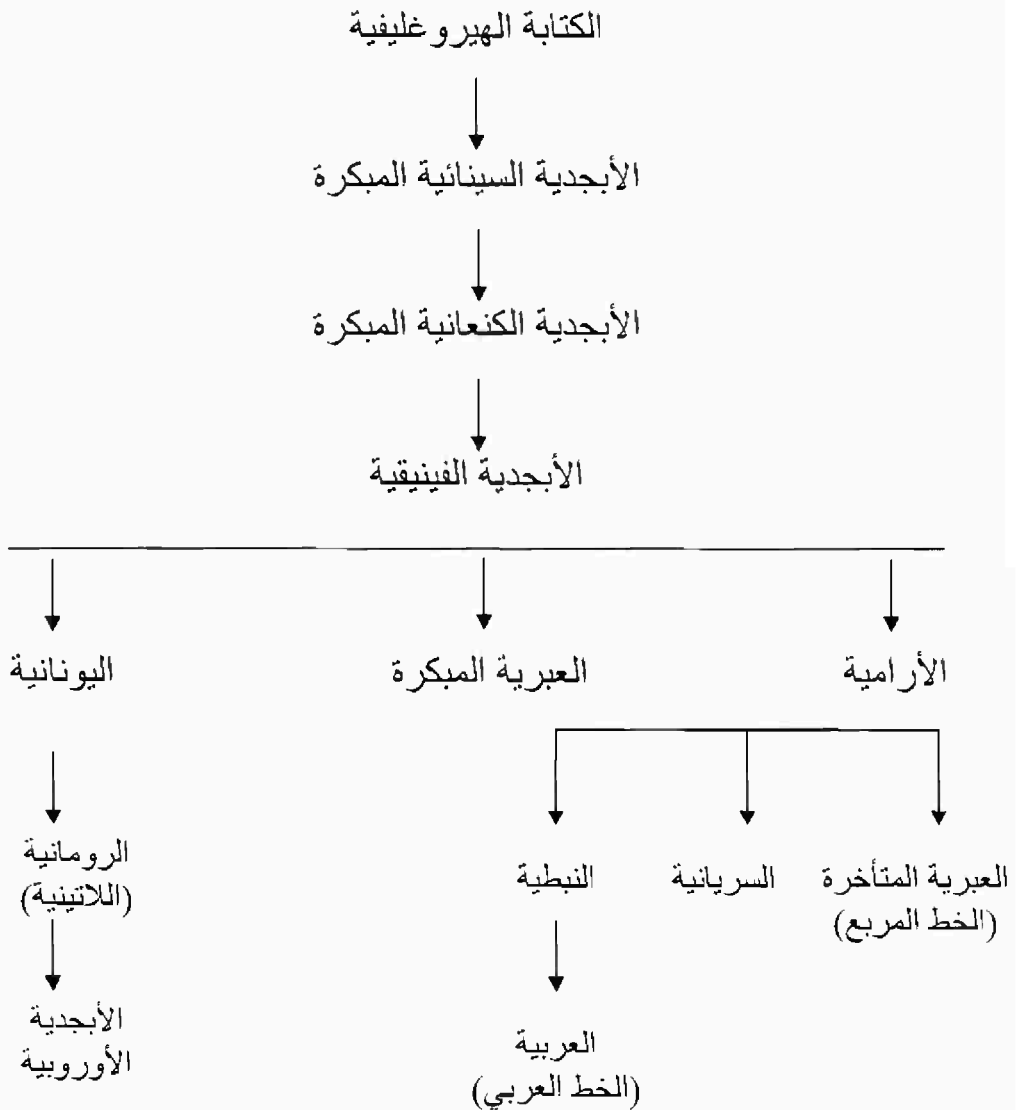
يوجد اللسان بفم الإنسان، وهو متصل بأرضيته عن طريق جذر له. واللسان، في الشخص السليم، مغطي كله بغشاء مخاطي ممتد علي بقية الفم. وسطحه العلوي يكون علي شكل القطيفة في مظهره، وورديا غامقا في لونه. ويتكون اللسان البشري من آلاف الألياف العضلية تتخللها خلايا دهنية وشرابين وأوردة للتغذية بالدم. كما تتخلله أيضا الغدد اللسانية والأعصاب الحركية اللازمة لعضلاته. وعلي سطحه يظهر عدد كبير من الحليمات، بمختلف أنواعها، الحاملة للبراعم التذوقية والتي تبعث بمعلوماتها إلي المخ. للسان ثلاث وظائف رئيسية، هي: التذوق، ودوره في عملية هضم الطعام (وهي مرحلة الهضم الأولى التي تتم بالفم مع اللعاب) وأخيرا دوره في إصدار الصوت والكلام، وهي الوظيفة التي تهتمنا في هذا المقام. فباتخاذ لمواضع مختلفة في الفم، يغير من شكل الممرات الهوائية التي تمر عبرها الأصوات التي شكلتها الحبال الصوتية بالحنجرة، وهي العضو الثاني والتالي الذي يهتما. ويمكن التعرف علي الحنجرة عن طريق البروز المتواجد في مقدمة العنق (أسفل الذقن)

والمعروف باسم "تفاحة آدم". ويفصل بين تجويفي البلعوم والحنجرة، غشاء متحرك يطلق عليه اسم "لسان المزمار". وأثناء التنفس، يسمح هذا الغشاء للهواء بالمرور بحرية بالفتحة بين البلعوم والحنجرة إلى القصبة الهوائية، ثم إلى الرئتين. ولكن عند ابتلاع الماء والطعام، يتحرك لسان المزمار ليغلق هذه الفتحة وهذا المسار، وبذلك يمنع الماء والطعام من المرور في هذا الطريق الخاطئ إلى الرئتين، فيمران إلى المرئ (المتواجد خلف القصبة الهوائية) ثم إلى المعدة. وتحتوي الحنجرة علي الحبال الصوتية، وعندما يمر الهواء بينها يحركها فتحدث الأصوات التي تصدر عند التكلم .

قيل أن الله، سبحانه وتعالى، أنزل علي آدم، عليه السلام، الحروف العربية التي تفرعت عنها كل لغات العالم..... ! والمعروف لدينا أن أقدم أبجدية عُرِفَت في التاريخ كانت رسوم الكتابة المصرية القديمة (الهيروغليفية) ومنها تفرعت اللغات الأخرى حتي يومنا هذا.(راجع شجرة الأبجديات) .

أما لغة كلام الله، سبحانه وتعالى، لآدم، عليه السلام، فعلمها عند الله، سبحانه وتعالى .

شجرة الأبجديات التي نبتت من الكتابة المصرية القديمة



ثم أنزل الله آدم وزوجته " حواء " إلى الأرض، لكي ينجب من صلبه ومن أصلاب بنيه عن طريق التزاوج، سلاسل تملأ الأرض لتزرعها وتعمرها وتنمتع بالمعيشة فيها إلى حين - أي إلى أن ينتهي أجلها أو إلى يوم القيامة :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ^ط وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾

(البقرة ٣٦)

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ^ط قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

(الأعراف ١٧٢)

لقد كان خلق أنواع جنس الإنسان المتعددة قبل آدم، بل وخلق آدم نفسه (وزوجته) من طين ، ثم خلق المسيح عيسى بن مريم بعد ذلك، من أم بدون أب، به عنصر مشترك هو النفحة الإلهية..... :

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ^ط قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ^ط إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٨﴾ ﴾

(آل عمران ٤٧)

وإن هي إلا الكلمة "كن" يقولها المولى - جل وعلا- للشيء الذي يريد نشأته "فيكون" وهكذا تتجلى عظمة هذه الحقيقة، حقيقة خلق أنواع هذا الكائن الإنساني وحقيقة الخلق كله ، فهي تنساب إلى النفس في سهولة ويسر وفي إقناع

ورضاء حتى ليعجب المرء كيف ثار الجدل حول هذا الحدث.....! مع أنه متمشياً مع السنة الإلهية ، سنة الخلق كله :

﴿ إِنِّ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(آل عمران ٥٩)



والعلم الحديث (الذي جاء بعد ١٤ قرناً من نزول القرآن الكريم) أكد عن طريق الشفرة الوراثية هذه الحقيقة (أي الخلق الخاص لكل طور من أطوار المخلوقات). فانقسام جزيء الحمض النووي Deoxyribo Nucleic Acid (الذي يرمز له بالحروف DNA والذي يُعتبر خيط الحياة في الجسم) يُشير إلى أنه بالرجوع إلى الماضي بمخزون الشفرات الوراثية عند البشر كلهم، أنها شفرة وراثية واحدة كانت في صلب شخص واحد هو آدم، وتراثب زوجته حواء، عندما خلقه وخلقها الله، خالق كل شيء، سبحانه :

﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَتَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

(لقمان ٢٨)

لقد ثبت علمياً أنه بمجرد إخصاب ببيضة الأنثى (أي خلية التكاثر الأنثوية) بواسطة الحيوان المنوي (خلية التكاثر الذكورية) تبدأ النطفة الأمشاج (أي المخلطة Zygote) في الانقسام، ثم تكون "العقّة"، وتخلق جميع أعضاء وأجهزة الجنين، كما أسلفنا .

ويكون التعريف العلمي للبشر (أي الطور الخاتم للإنسان) هو: مخلوق من مخلوقات الله، قامته مستقيمة وطويلة، ويمشي علي قدمين، وقادر علي استعمال يديه وأسنانه ولسانه (لمضغ وتذوق النباتات واللحم). له مخ متنامي كبير وكامل، به مركز للنطق لكي يساعده مع حنجرته وشفتيه علي الكلام، للتعبير عن ما يَكُنْ في نفسه وما يدور في خلده. وتقوده قوة سماوية هي العقل، أو قوة التعقل (وهي أكبر من قوة الغرائز) لكي تمنحه الإرادة فيتحكم في غرائزه. وكذلك تمنحه ملكة الفكر، لكي يخطط لمستقبل حياته. وأيضاً القدرة علي التعلم. وممارسة الحس الاجتماعي والإبداعي. والدفاع عن النفس. لذلك حرّم الله قتله إلا بالحق. وعندما يغيب العقل بالنوم، أو بالتغيب عن الوعي، يتحول البشر إلى إنسان غير عاقل، كالحيوان في سلوكه .

رحم الله أُمي الحبيبة، فقد كانت تردد دائماً في دعائها: اللهم ثبت العقل والدين .

هذه المفاهيم، التي توصل إليها العلم الحديث (بمؤتمر باريس عام ١٩٨٤م، ثم بالشفرة الوراثية، كما أسلفنا) حولت نظريات داروين (التي ترجع أصل الإنسان العاقل، أي البشر، أستغفر الله، إلي سلالة القروود...) إلي نوع من التخيل الخرافي .

حديثاً اختلف علماء الدين مع علماء الطبيعة (الذي يستند علمهم علي البحث العلمي التجريبي) علي تحديد موضع أو مصدر قوة التعقل والإدراك بجسم

البشر، أي العضو المسئول عن العقل والفهم والتكليف بالمسئولية... هل هو المخ، كما يقول علماء الطبيعة، أم هو القلب، كما يقول علماء الدين.... ؟

ولا يفوتنا في هذا المقام ذكر حديث المصطفى ، صلى الله عليه وسلم : عن النعمان ابن بشير رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله (صلى) يقول (إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن وبينهما أمور مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه . ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) .

رواه الإمامان البخاري ومسلم

يقول علماء الطبيعة أن المخ برأس الإنسان، كما أسلفنا، هو موضع العقل والفكر....

وعند الرجوع إلي آيات كتاب الله العزيز التالية، يتبين لنا أن الله قد دعي الإنسان إلي استخدام نعمه عليه، كالعقل وملكة الفكر في كل أمور حياته والتخطيط لمستقبلها، وأسلوب معيشته، والتحكم في غرائزه. وبالتالي وجبت عليه المحاسبة إن أخطأ أو أصاب. كما أمره بتدبر آيات القرآن بعقله، وذلك لأن القرآن المعجز هو مصدر العقلانية والإدراك الصحيح وباعث لهما. ولقد جاء ذكر القلب والفؤاد، والعقل واللب والنهي، كأدوات للإحساس والتعقل والتفكير والتفقه والقدرة علي التعلم، وتلقائية الدفاع عن النفس. حتى كذلك السمع، والبصر والطرف، واللمس للرؤية عند مكفوفي البصر (راجع موضوع جلد الإنسان وعمله فيما بعد) .

إن أعضاء الحس الخمسة بجسم إنسان (العينان والأذنان والأنف واللسان والجلد) قد لا تقوم بعملها الحسي إذا غفل قلبه، مع سلامة قدراتها علي

الإحساس. وهذا يدل علي أن أعضاء الحس المستقبلية تقوم بعمل مزدوج أو مركب بين الحس والفهم، أي الإدراك .

فمثلا العين لا تنتظر فقط، ولكن يمكنها أن تبصر أو تدرك :

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تَحَرَّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٧٥﴾

(البقرة ٧٥)

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾

(آل عمران ٥٢)

هل كلمة "أحس" من الإحساس أم الفهم أم الاثنين معا ...؟

﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٢٥﴾

(الأنعام ٢٥)

أكنة، أي أعطية كثيرة علي قلوبهم وفي آذانهم صمما لكي لا يفهموا القرآن .

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

(الأعراف ١٧٩)

هنا سبب تقديم العين علي الأذن، هو تقدم العين في موقعها المكاني من وجه الإنسان .

﴿ إِنَّا الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

(الأعراف ٢٠١)

الإبصار والبصير عملية مركبة من النظر (أي الرؤية) والفهم. ونفس المعني ينصرف إلي السمع والسميع بالأذن .

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٢١٣﴾ ﴾

(العنكبوت ٤٣)

﴿ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَلَيْنَآ لَا نَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن نَّعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٢١٤﴾ ﴾

(الحج ٤٦)

﴿ وَلَنُصَفِّيَ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿٢١٥﴾ ﴾

(الأنعام ١١٣)

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

(المؤمنون ٧٨)

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (النجم ١١)

هنا الإشارة إلى الفؤاد، تعني الإحساس الفهمي، أو الإدراكي للقلب. وسبب تقديم السمع علي البصر، هو تقدم مركز السمع علي مركز البصر في موقعها المكاني من المخ. هذا بالإضافة إلي أفضلية وأهمية إحساس السمع علي إحساس البصر. وكذلك لأسبقيته في التطور العضوي والوظيفي في الجنين قبل ولادته .

(الإسراء : ٤٦، ٣٦) (الكهف : ٥٧) (الحج : ٣٢) منها :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ

كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء ٣٦)

أي ولا تتبع أيها الإنسان الأقوال التي تسمعها ولا تعقلها، والأفعال التي تراها ولا تفهمها أو تعقلها، فإن نعم السمع والبصر والقلب يسأل ويحاسب صاحبها عما فعل بكل منها يوم القيامة .

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾

(ص ٢٩)

﴿ كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي النُّهَى ﴾

(طه ٥٤)

الآيات السابقة تبين أن القلب هو موضع العقل ... كما أن نصوص عديدة من آيات القرآن الكريم قد وصفت حاسة الفهم والإدراك باعتبارها الحاسة

الأخلاقية التي هي مناط التكليف والمسئولية عند الإنسان. وأنها هي التي تستجيب أولا إلى الدعوة إلى مكارم الأخلاق .

وفي رأينا اجتهداً أنه، حيث أن مراكز الإحساس وقوة التعقل متوفرة في كلا المخ والقلب*، إذا كلا العضوين تقع عليهما مسئولية مشتركة للإبقاء علي حياة الإنسان الطبيعية، كما خلقه الله سبحانه وتعالى. فإذا توقف المخ عن عمله بالكامل، وفشل علاجه، أصيب الإنسان بما يسمى "السكتة الدماغية"*** (أي توقف

• ذاكرة الخلايا وعقل القلب :

تشير الأبحاث والاكتشافات العلمية الحديثة جدا بأمريكا (أي أثناء طباعة الكتاب) إلى أن للقلب ، بل للخلايا ، عقلا وذاكرة مستقلة عن تلك الموجودة بالمخ (د. عبد الهادي مصباح - جريدة الأهرام ، مقالات ص ١٢ في ٨/٢٦، ٢٠٠٧/٩/٩م). فمثلاً : إن نقل قلب شخص ما "مترع" إلى جسم شخص آخر "متلقي" تنتقل معه طبائع وسلوكيات صاحب القلب الأصلي إلى الشخص المنقول إليه هذا القلب . وهذا جعل العلماء بالولايات المتحدة يفكرون فيما يسمى "ذاكرة الخلايا" ، أي أن للخلايا بجسم الإنسان عقل وذاكرة خاصة بها . وهي تعمل عن طريق سلاسل عصبية قصيرة ، وبشكل مستقل عن أعصاب المخ ، وفي نفس الوقت لها اتصال بها . فقد تبين أن هناك بعض الوظائف الخاصة بالعقل تقوم بها أيضا خلايا أعضاء الجسم المختلفة ، وخاصة الرئيسية منها ، مثل القلب (كما أخبرنا القرآن الكريم) . فلقد ثبت أن علاقة المخ والأعصاب بالقلب هي علاقة ذات اتجاهين ذهابا وإياباً ، وليس كما كان يُعتقد في اتجاه واحد ، أي من المخ إلى القلب فقط . فللقلب جهاز عصبي واحد سمي "مخ القلب" . وهو في غاية التعقيد ، ويتكون من خلايا وموصلات عصبية وبروتينات تعمل بشكل مستقل عن الأعصاب المخية . ويمتطيع "مخ القلب" هذا أن يتعلم ويتذكر ويشعر ويحس ويخاف ويؤمن . نترجم هذه المعلومات على شكل إشارات عصبية ، وترسل من القلب إلى المخ ، أو إلى الجهاز الوجداني في منطقة جذع المخ ، ومنه إلى المراكز العليا بالمخ ، التي تستجيب من خلال الإحساس والتقييم واتخاذ القرارات . وربما كذلك عن طريق أماكن معينة على الشفرة الوراثية الموجودة داخل نواة كل خلية من خلايا أعضاء الجسم المختلفة . من هذا يتضح أنه إذا كان المخ هو أداة التعقل ، أو وسيلة التعبير عن العقل الذي حيا الله به البشر ، فليس معنى ذلك أن المخ هو العقل ، لأن العقل من خصائص الروح ، والروح من أمر الله سبحانه ، (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) . (الإسراء : ٨٥) .

*** تعتبر السكتة الدماغية من أهم الأمراض العصبية التي تهدد الصحة العامة للإنسان. وهي وأمراض القلب والسرطان، التي تؤدي إلي موت الإنسان البالغ. فجميع دول العالم (باستثناء القليل جدا من الدول منهم مصر) يقولون أن الإنسان إذا مات مخه فقد مات. وطبياً معروف أن موت المخ معناه نهاية حياة الإنسان. (دكتور مجدي يعقوب، جريدة الأهرام في ٢٠/٩/٢٠٠٧ م. ص ١٠).

بعض أجهزته العصبية الإرادية واللاإرادية وخاصة المختلط منها، كالعصب الحائر، كما أسلفنا) مع استمرار تأدية القلب لوظيفته لحين من الزمن... لا يعلم مداه إلا الله، الخالق سبحانه. ويظل فيها الإنسان حيا بلا وعي ولا إدراك جزئي أو كلي. وعند توقف القلب، أو العضوان (بفارق من الوقت) عن العمل، ينتهي أجل الإنسان، وتصعد روحه إلي بارئها، والأمر أولا وأخيرا بيد الله، سبحانه وتعالى، عَلام الغيوب .

وعادة يُعلن موت الإنسان طبيا بتوقف كل من القلب والرئتين عن العمل. وتوقف حركة العينين. وانخفاض في درجة حرارة الجسم وتصلبه. وانتشار الزرقة في الأطراف والشفاه. وعلي كل، فإن الموت الحقيقي يتحدد بموت الدماغ، الذي من ظواهره الإغماء الكامل .

المسيح عيسى ابن مريم آخر ضيوف مصر المكرمين

لقد استضافت مصر ٢١ من أنبياء الله المكرمين من بني آدم عبر التاريخ، وهم: شيث بن آدم (لم يذكره القرآن الكريم، وذكرته التوراة) وإدريس، وإبراهيم، ولوط، ويوسف وإخوته الأسباط، ويعقوب، وموسى، وهارون وشعيب، وعيسى عليهم السلام أجمعين .

المسيح بن مريم هو أحد عبدة الله، وآخر أنبياءه من بني إسرائيل. وهو الرسول قبل الأخير من بني آدم أجمعين (أى من البشر). "عيسى" هو الاسم المسمي به المسيح في القرآن الكريم، وكذلك بكنية "ابن مريم"، كما وصفه بـ "المبارك". وذكر في القرآن الكريم ٣٥ مرة، ومعناه "المنقذ" (أى الذى خلصه الله وأنقذه)*. أما كلمة الإنجيل (وهي كلمة يونانية) فمعناها البشري ، أى بشري الخلوص على يد المسيح ... والأنجيل مجموعة أعمال المسيح وأقواله أما لقب "المسيح" فمعناه، الممسوح بزيت الزيتون المبارك، فيصير صديقاً أو قديساً أو نبياً. كما ذكر القرآن أسم أمه مريم بنت عمران (وهو الاسم العلم الوحيد لإمرأة به) وخصص لها سورة (رقم ١٩) :

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ نُنَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

(المائدة ٧٥)

* أما كلمة "الإنجيل" (وهي كلمة يونانية) فمعناها البشري ، أى بشري الخلوص على يد المسيح



﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ ﴾

(مريم ٢٩-٣١)

وهو بالعبرية "يسوع" وترجمتها بالعربية "يسوع" وتعني الذي ضاع وهلك (على الصليب) ولكن هذا لم يحدث بل شبه لليهود ونجاه الله، ورفعته إليه (فى عام ٢٩ م). بعد أن توفاه وفاة النوم، أي أنامه (لأن النوم أخو الموت) :

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ارْقُطْ فِيهَا ۖ فَارْقُطْ ۖ فَكَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ ﴾

(آل عمران ٥٥)

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٧)

(الأنعام ٦٠)

وكما قال الرسول، صلى الله عليه وسلم، لما سُئِلَ: أفي الجنة نوم؟ قال:

[لا، النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها]

أخرجه البيهقي عن جابر (القرطبي: ٤، ١٠٦ - ١٠٧).

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٢)

(الزمر ٤٢)

﴿ إِنَّ الْأَمْتَقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقْنَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾

(الدخان ٥١-٥٧)

ومن آيات الله، جل جلاله، سلب الوعي والإدراك من الإنسان عند نومه، وعودتهما إليه عند يقظته، وهو أمر معجز يجريه الخالق سبحانه :

﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾

(الروم ٢٣)

والسبب العلمي، هو أن " الغدة الصنوبرية " Pineal gland " المتواجدة تحت مخ الإنسان (وبعض سلالات الحيوان، مثل البقر والقرود) تفرز هورمون "الميلاتونين Melatonin" في الدم، وعليه يدخل الإنسان في حالة النوم بعد وقت قصير، ويسلب منه وعيه وإدراكه، ثم يعودا إليه عند يقظته دون أن يكون له يد في هذا الأمر، أي تلقائيًا. هذه الغدة الصغيرة (التي في حجم ثمرة الصنوبر تقريباً) لم يُكتشف دورها الهام الذي تقوم به إلا حديثاً جداً (عام ١٩٩٥م). ولقد لوحظ أن هذه العملية لكي تتم، يصاحبها الإحساس بانخفاض درجة حرارة الجسم، وضعف القدرة السمعية. كما تعترى الجسم حالة من الخمول والرغبة في النوم. ولقد لوحظ أن الضوء الساطع يعمل على الإقلال من إفراز هذا الهورمون، وبالتالي عدم الإحساس بالنوم. وللميلاتونين دورة بالجسم ترتبط بإنتاجه وإفرازه. وأعلى إفراز له يكون في الليل والظلام، بينما يقل هذا الإفراز تدريجياً إلى أقل حد عند الظهيرة بالنهار أو في الضوء الساطع .

وقرب قيام الساعة، سوف ينزل عيسى بن مريم إلى الناس بالحق (الذي جاء به القرآن الكريم). فنزوله إذاً من علاماتها، ولكي يصح بقوله اليهود الذين شبه لهم .

وأيضاً ليعلّل سبب ضلال أمته فيه وفي أمه، وشركهم بالله، إذ أن بعضهم عبوده هو وأمه، واتخذوها إلهين من دون الله. ثم يموت علي دين خاتم النبيين محمد، صلي الله عليه وسلم، كما مات الرسل والأنبياء من قبله، وكما يموت البشر، ثم يُبعث معهم يوم تقوم القيامة :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٨﴾ ﴾

(النساء ١٥٧-١٥٨)

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ۚ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُمْ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۚ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٥٨﴾ ﴾

(المائدة ١٧-١٨)

كان عمران بن ماثان (يوافيم) رجل دين مبدع من بنى إسرائيل. ولقد كرمه الله بأن أفرد لإسم عائلته سورة (رقم ٣) بالقرآن الكريم. وكان يقطن ببلدة الناصرة القريبة من مدينة بيت المقدس. وكانت زوجته "حنة" من العابدات، ولكنها كانت لا تلد. ودعت الله أن يرزقها بطفل. ونذرت (قبل أن تراه) أن تجعله لخدمة بيت الله. فلما إستجاب لها رحمة الله، ورزقها بأنثى، أسمتها "مريم" (وهو إختصار "مارى أما"، ويعنى "الرب أما" أو "أمة الرب") تيمنا بإسم مريم (أو مريام) أخت نبي الله موسى وهارون، عن الرسول، للمغير بن شعبه :

[أما علمت أنهم كانوا يُسمّون بأسماء أنبيائهم]

توجهت حنة إلى الله تعالى معذرة، لأن وليدها أنثى... واستعاذتها وذريتها من الشيطان، واستجاب الله لها. وعن المصطفى، صلى الله عليه وسلم :

[كل مولود من بنى آدم يمسسه الشيطان بأصبعه إلا مريم بنت عمران وإبنها عيسى عليهما السلام] رواه مسلم .

وبعد موت والدها كفّلها عمها نبي الله "زكريا" وكان في نفس الوقت زوج أختها (عن المصطفى من أحاديث الإسراء ، حيث تزوج زكريا أبو يحيى، عليهم السلام، من أشياخ، أخت حنة زوجة عمران، والديّ مريم العذراء). اشتهرت مريم بصفاتها الكريمة والشريفة. وكانت الملائكة تزورها لتخبرها بأن الله قد إصطفاهَا وطهرها، وأيضاً تشجعها على الإستمرار في عبادة الله :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

(آل عمران ٤٢-٤٣)

ولقد حدثت معجزة خلق إلهية لمولود ذكر من البشر بدون أب... عن طريق هذه الفتاة. وهي تعتبر معجزة الخلق البشر الثانية في تاريخ البشرية، بعد أن خلق الله آدم من تراب (أى بدون أب وأم). ويروى القرآن الكريم قصتها وكذلك الإنجيل (آل عمران: ٤٤-٤٨، ٥٥-٥٩ . إنجيل لوقا: ٢٦-٢٨) .

لما بلغت مريم سن النساء، أرسل الله لها ملاكا "الروح الأمين جبريل" فى صورة فتى ليهب لها، وهى محتفظة بعذريتها، غلاما زكيا طاهرا. وهون عليها الخبر بقدرة الله على خلق ما يشاء (مريم: ١٦-٢٦). وحملت مريم، وكان حملها حملا طبيعيا بالنسبة لمدة الولادة وأطوارها. وكان غذاؤها الرئيسى البلح

الرطب والماء (وللعلم، فقد ثبت علمياً، أن الرطب يحتوى على العناصر الغذائية الرئيسية فى صورة مركزة وسهلة الهضم، وأنه بذلك مناسب للسيدة النفساء) :

﴿ وَهَرَيَ إِلَيْكَ بِجَذَعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَلِمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾

(مريم ٢٥-٢٦)

فكان الله لطيف بمريم خاصة ٠٠٠ وبعباده عامة ودائماً ٠٠٠ فأى لطف وإعجاز علمي هذا ٠٠٠! وأخبرها الملاك بأن الطفل "المسيح عيسى" سوف يكلم الناس وهو وليد كلاماً يقوله الكبار. وأن الله سيعلمه الحكمة والتوراة والإنجيل عن طريق الوحي. وأنه سيكون معجزة للناس، ونبياً كريماً مؤيداً بالمعجزات حتى يبرهن قدرة الله سبحانه. ولما إتهمها قومها بالزنا، رد عليهم الوليد عيسى رداً حاسماً لتبرأة أمه، وبين لهم بأنه سيكون من أهل العلم والكتاب (الإنجيل) وأن الله سيجعله نبياً، وأوصاه بالصلاة والزكاة طوال حياته، كما أسلفنا (مريم : ٢٩-٣١) .

ولد "المسيح عيسى" (كما جاء أسمه فى القرآن) أو "المسيح يسوع" (فى الإنجيل) كما أسلفنا، فى قرية "داود" (بيت لحم حالياً القريبة من القدس) — اليهودية (أى فلسطين حالياً) ليلة الإثنين ٢٤/ديسمبر عند مسيحي الغرب ، و٧/يناير عند مسيحي الشرق، عام ٤ ق.م. كما يعتقد الكاثوليك والبروتستانت وعند الأرثوذكس ، فى عهد حاكم الولاية الروماني "هيرودس" بـ "أورشليم"، والإمبراطور الروماني "أوغسطس" بـ "روما". وكان يوسف بن يعقوب وشهرته يوسف النجار (لأنه كان يتكسب من عمله فى النجارة) شاب نقى ورع، فهو من نسل "داود" وسبط يهوذا (إنجيل لوقا- الإصحاح الأول: ٢٧) يرافق مريم خطيبته (وقيل ابنة عمته) وقد ناهزت الثالثة عشر. وقيل أنه أمر فى منامه

بإمساکها لأنها بريئة من الدنس (عن إنجيل متى، الإصحاح الأول: ٢٠). فصدق منامه لأنه كان متأكداً من أنها طُبعت على الصدق، أى كانت بحق صديقة (كما أسلفنا، المائدة: ٧٥) .

قيل أن ثلاثة حكماء من مجوس بلاد فارس كانوا يراقبون النجوم، فبدا لهم نجم شديد التألّق فوق اليهودية. فشدوا الرحال غرباً إليها ، حاملين الهدايا من الذهب والفضة الى سلطان اليهود المنتظر، حسب رؤيتهم. وهناك عند الحاكم بـ"أورشليم" (وتعني مدينة السلام) سألوا عن مولود حديث، مّقمط ومضجع فى مزوّد (أى وعاء الزاد)، سيكون سلطاناً على جميع اليهود. إرتاع لطلالهم الحاكم الرومانى، وأمرهم بالذهاب والبحث عنه والعودة ليعلموه به. ولما عثروا على الطفل سجدوا له وقدموا له هداياهم. وغادروا فلسطين رأساً خوفاً على الطفل من بطش الحاكم. الذى، لما علّم بهذا، ثار وأمر بقتل كل مولود حديث ذكر فى بيت لحم . ويقال أن هناك حالياً مغارة بكنيسة قديمة تضم الآف من جماجم الأطفال الذين قتلهم رجال هيرودس (عن إنجيلى متى وبرنابا). ولهذا أمر يوسف النجار فى منامه، بأن يلجأ بالطفل وأمه إلى بلد آخر هرباً من بطش الرومان :

﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رَيْثَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾

(المؤمنون ٥٠)

ولقد اختلف المفسرون على هذا البلد.....؟ ونحن مع من زكى مصر (وخاصة صعيدها المرتفع، ولذلك سُميَ بمصر العليا) أولاً: كماوى آمن لبعدها جنوباً عن أورشليم، مقر الحاكم الرومانى. وثانياً : للآثار التى وُجدت بمصر، والتى تشهد بالزيارة المقدسة . هذا فضلاً عن شهرة المصريين بكرم الضيافة للزائر الغريب، وتقضيله على أنفسهم ومساعدتهم له. ولذلك عُرِفَت

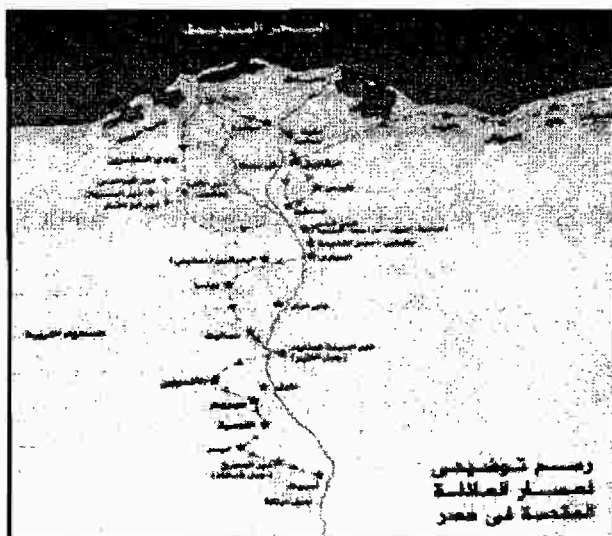
مصر بأرض اللجوء والسلام والمحبة لمن يدخلها الى يومنا هذا. وكما قال يوسف بن يعقوب لابويه عليهم السلام :

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيَهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾

(يوسف ٩٩)

فمصر فعلاً ملتقى الأديان السماوية ووحدتها .

نفذ يوسف النجار رؤيته فوراً مصطحباً الطفل، ابن السنتين، وأمه ودايتها سالومي. وسافر بهم ليلاً على حمار الى مصر عبر صحراء سيناء صيفاً، فوصلوا بلدة "الفرما" في أول يونية عام ٢ ق.م. قبل الميلاد حيث رحّب أهلها بهم وأطعموهم. وأقاموا بمصر ثلاث سنوات ونصف. (وقيل ٥ أو ١٢ سنة) متجولين بين ربوع الدلتا والصعيد. ولقد تلمسوا الدروب الآمنة هرباً من أعين الرومان ، وذلك بفضل إتفاف المصريين حولهم ، وتضليل عساكر الرومان عنهم. ولما مات الحاكم هيروُدس، عادوا الى فلسطين سالمين معززين ومكرّمين



ولقد زارت العائلة المقدسة بمصر عدداً من الأماكن وصل الى العشرين على الأقل. سبعة في الدلتا، وخمسة بالقاهرة، وثمانية في مصر العليا. بدأت الرحلة ببلدة "تل بسطا" (قرب الزقازيق) بشرق الدلتا، ثم جنوباً إلى "المحمة" (مسطرد حالياً) شمال عين شمس، لتضليل الرومان، ثم شمالاً بشرق إلى "بليبس" للراحة بعض الوقت. ثم شمالاً بغرب مرورا ببسطا مرة ثانية. وبعدها، وفي نفس الإتجاه، عبرت العائلة نهر النيل (فرع دمياط) إلى "دكادوس" (قرية على فرع دمياط شمال ميت غمر) ثم إلى "سمنود" بوسط الدلتا، حيث عاشت العائلة لبعض الوقت. وهناك وضع المسيح قدمه على حجر فظهر فيه أثره، فسمى هذا المكان "كعب يسوع". ثم أسرع العائلة ليلاً في إتجاه الشمال الغربي، هرباً من عيون أتباع الوالى بواسطة الأهالى، إلى "سخا" جنوب بحيرة البرلس. ثم عبرت النيل "فرع رشيد" إلى الضفة الغربية، وأسمرت جنوباً في الصحراء الغربية طلباً للنجاة حتى "وادي النطرون". وهناك باركت العذراء المنطقة، حيث صارت فيما بعد تضم العديد من الأديرة المسيحية (مثل: السريان والأنبا بيشوى والبراموس وأبو مقار وغيرها) وعاش بها العديد من الرهبان والنسك. ثم واصلت العائلة المقدسة السير جنوباً إلى ضاحية "المعادى" بجنوب القاهرة (حيث أقيمت هناك، فيما بعد، كنيسة العذراء المقدسة). ومن المعادى بدأت رحلة الصعيد، فعبرت نهر النيل إلى الضفة الغربية وإتجهت جنوباً إلى "منف" ثم "بهنسا" (حيث بُني هناك، فيما بعد، دير الجرنوس) ثم إلى "سمالوط"، و"المنيا" (حيث جبل الطير، والذي بني علي قمته، فيما بعد، دير العذراء أو الكف) ثم إلى "الآشمونيين" حيث استراحت العائلة المقدسة بضعة أيام .

ومن الآشمونيين جنوباً إلى "ديروط"، و"القوصية" حتى جبل فسقام " بدرنكة أو ديوروتكا" بجبل أسوط الغربى، وكان الجو قد إشتدت حرارته لحلول شهر أغسطس بفصل الصيف. وهناك استقبلها الأهالى بترحاب كبير فباركهم المسيح، وأقامت العائلة المقدسة في بيت من الطوب اللبن. وطاب لها العيش في هذه البلدة النائية والأخيرة التي وصلت إليها في صعيد مصر. ولقد شيد هناك

دير المحرق، أو العذراء مريم (جنوب كهوف أسطبل عنتر وأسيوط) وبه كان أول مذبح. ولقد ثبت (فيما بعد) أنه يتوسط أرض مصر من جميع الاتجاهات. وتميزت كنيسته عن بقية كنائس مصر، بل والعالم أجمع، بأنها الوحيدة التي دشّنها وباركها المسيح بنفسه .

مات " هيرودس " حاكم الولاية، قبل أن تصل أيد جنوده الرومان إلي المسيح. مات بعد أن قتلوا في بحثهم عن الطفل يسوع الآلاف من الأطفال دون سن السنتين. وخلفه ابنه "أرخيلاوس". بعد ذلك هدأت الأوضاع وخفت شدة البحث، وكان والي مصر في ذلك الحين يدعي " أوكتافىوس ". حينئذٍ أمكن للعائلة المقدسة أن تعود إلى موطنها بفلسطين، بناء على ما أوجيَ إلى يوسف النجار، وكان قد مضى على إستقرارها بصعيد مصر ستة أشهر وخمسة أيام .

وفى رحلة العودة نزلت العائلة المقدسة بحى مصر القديمة بالقاهرة، حيث يوجد حصن "بابليون" معقل الرومان، والذي كان يخرج منه الجنود للبحث عن المسيح يسوع. وهناك لجأت العائلة إلى مغارة للإختباء فى حارة زويلة (بالقرب من الموسكى حاليا). ولقد بنيت هناك فيما بعد ، كنيسة "أبى سرجة" الحالية فوق هذه المغارة. ثم واصلت العائلة السير شمالا إلى بلدة "عين شمس" (أون بالمصرية القديمة، أو هليوبوليس بالإغريقية). وفى حى الزيتون توقفت العائلة للراحة، وفى هذا المكان أقيمت، فيما بعد، كنيسة مريم (أو الزيتون حاليا). وفى حى المطرية إستراحت العائلة تحت شجرة البلسم وهى من الأشجار المعمرة، ولا تزال قائمة حتى يومنا هذا. وأطلق عليها إسم شجرة مريم أو العذراء المباركة. وكان بجوارها عين ماء إغتسلوا منها فصارى مباركة أيضا. وبُنِى بجوارها كنيسة مريم العذراء، وأصبح المكان أحد المزارات للمسيحيين حتى الآن .

ومن المطرية سارت العائلة شمالا إلى "مسطرد"، ثم إلى "بلبيس" عائدة إلى أرض اليهودية بفلسطين. من هذا يتضح أن العائلة المقدسة قد إنتقلت إلى كل

أنحاء مصر منذ الفين سنة، لتبارك كل أرضها وشعبها. ومن هنا إحتضنت مصر معظم أنبياء الله (وهم ٢١، كما سبق أن ذكرنا) رمزا لوحدة الأديان على مر الزمان. وعرفانا بفضل مصر (بعد الله سبحانه) في حماية المسيح يسوع، بارك الله فعلا مصر وشعبها "مبارك شعب مصر" (أشعيا: ١٩-٢٥). وأكد الكتاب المقدس أبدية هذه المباركة الربانية (رومية: ١١-٢٩) .

بعد عودة المسيح إلي بلده، أظهر الله عليه المعجزات والكرامات. وكان الله قد ألقى في قلب يوسف النجار محبة عيسي بن مريم، وأوحى إليه أن يتكفل به ويلازمه حارسا وراعيا لطفولته وصباه. لذلك تربى عيسي تربية صحيحة أساسها أصول العلم والدين. ولما قارب عيسي بلوغ سن ٢٩، كان يوسف النجار قد مات، وعيسي اشتد عوده، وسمت روحه إلي درجة النبوة، وأذن الله أن يبعثه برسالته. في ذلك الحين ظهر "يوحنا المعمدان" ("يحيى" بن زكريا، عليهما السلام) وقام بتعميد المسيح. بعد ذلك علّم المسيح بمقتل يوحنا وكذلك أبيه زكريا (عليهما السلام) فحزن عليهما حزنا شديدا. ولما ناهز عيسي الثلاثين، صام ٤٠ يوما قبل نزول الروح القدس، ليعلم الله عيسي التوراة، وينزل عليه الإنجيل (كلمة "إنجيل" تعني "البشارة أو الخبر الحسن" ، كما أسلفنا) عن طريق الوحي. ثم بعثه رسولا ليدعو إلي السلام، وحب الله، والمحبة والإخاء والتسامح والتواضع بين الناس جميعا، أي من وثنيين وإسرائيليين. ويحض علي نبذ عبادة الأصنام، وعلي عبادة وطاعة رب السماوات والأرض. وأنه يبشر بدين جديد، هو الدين المسيحي. وأنه مصدقا بالتوراة التي نزلت من قبله. وكذلك بشّرهم باقتراب "ملكوت السماوات" (أي الشريعة الإلهية الجديدة) وبمجيء خاتم النبيين "أحمد" (الفارقليط باليونانية) صلي الله عليه وسلم. ولقد جاء هذا بالقرآن الكريم:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْ اِسْمَ رَبِّىْ اَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّىْ وَرَبَّكُمْ ۚ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۚ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٦٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا

إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

(المائدة ٧٢-٧٣)

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾﴾

(الصف ٦)

كان عصر عيسى مهتماً بالعلم والطب ، لذلك أمدّه الله بروح القدس (سيدنا جبريل) ليأتى بمعجزات علمية لا نظير لها في السابق ولا في اللاحق ، وذلك لإقناع اليهود بنبوته ورسالته إليهم : فطريقة مولده كانت معجزة علمية. وكذلك كلامه للناس في مهده معجزة أخرى .

هذا فضلاً عن تعليمه العلم والتوراة والإنجيل، وإحياء الموتى (كما حدث في مدينة بلبيس بمصر، فأحيا ابن أرملة بعد موته) وخلق الطير من الطين بعد تشكيله . وشفائه للمولود الأعمى. وإعادة السمع والكلام لعروس مصرية صماء وخرساء عندما احتضنته. وشفائه للابصر والمجزوم. وإنزاله مائدة من السماء إستجابة لطلب الحواريين :

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٥﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ

وَالْأَبْرَصَ وَأُخِيَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾

(آل عمران ٤٨-٤٩)

﴿٤٨﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَآمَنَّا وَآمَنَّا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٤٩﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْبِئَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقَتْنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾

(المائدة ١١١-١١٥)

(الحواريون هم أصفياء وتلاميذ المسيح عيسى بن مريم بالإنجيل، وأنصاره إلى الله بالقرآن. عددهم ١٢، وأسماءهم جميعا معروفة. وكانوا أول من بادروا بالإيمان بالله وبرسوله عيسى. والتقوا حوله وناصروه في الدعوة إلى الحق وإلى الصراط المستقيم):

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا
ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

(آل عمران ٥٢-٥٣)

هذا بالإضافة إلى إكتشاف المسيح للآبار والعيون لتوفير المياه العذبة المباركة لعائلته وللمصريين، مثل: بئر الكهف الذى إحتمت به العائلة بمسطرد ، وبئر تل بسطا وذلك للإعاشة وأيضاً للعلاج لمن إعتقد فيها. وآبار حارة فى زويلة ومسطرد، التى باركها السيد المسيح . وهذا النوع من الآبار غالباً ما تبنى حولها كنائس. هذا ولقد إستخدمت هذه المياه الجوفية المباركة كمقياس لمياه نهر النيل. فإذا وصل عمقها الى ٢٠ ذراعاً ، كان هذا دليل على توفر المياه بمصر. أما إذا قل الى ١٦ ذراعاً، فهو مؤشر لحدوث قحط .

كذلك الأشجار، فقد لاقت بعضها إهتمام العائلة المقدسة، مثل: شجرة البلسم المعمرة بحى المطرية، والتى إستراحت العائلة تحتها، وهى لاتزال قائمة حتى الآن، وأطلق عليها اسم شجرة العذراء المباركة. وشجرة مريم بديروط (عمرها حوالى ٢٠٠٠ سنة) فقد أظلت العائلة المقدسة .

لقد تعرض عيسى في حياته لإضطهاد الرومان الوثنيين واليهود. لكن كثير من الناس سارع لإعتناق الدين الجديد ، ونبذوا عبادة الأصنام. وأخذت دعوة المسيح وتعاليمه تنتشر داخل فلسطين، ثم خارجها (وخاصة في مصر وعاصمتها الإسكندرية) علي يد رُسُلٍ أخلصوا للعقيدة الجديدة (وهم الحواريون). كانت رسالة عيسى إلي بني إسرائيل، هي آخر رسالة يبعثها الله لهم بعد هذا العدد الكبير من رسله وأنبيائه. وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل علي أن هذا الشعب كان جاحداً وناكراً للخير، وضالاً بدرجة كبيرة. ودخلت في

مجتمعه انحرافات وخرافات وأباطيل كبيرة جدا. ولذلك لم تكن رسالة المسيح إلى قومه من اليهود رسالة إلى التوحيد، لأنهم سبق وأن سمعوا به عن موسى، عليه السلام، وخالفوه وابتعدوا عنه، بل وخرجوا عليه، وحرقوا وتلاعبوا بنصوص التوراة. ولكن كانت دعوة عيسى تكمل ما جاء به الذين سبقوه من أنبياء بني إسرائيل، بل ومن سبقوهم كذلك حتى نبي الله إبراهيم. وتعلمهم ما أنزل عليه من أحكام تشريعية جديدة. كما أعلن المسيح على بني إسرائيل، أنه مُصدّق لتوراة موسى ويؤمن بما جاء بها، وحثهم على إتباعها (كما أسلفنا). وأحل لهم بعض ما حرم عليهم فيها، بسبب بغيتهم وعدوانهم، والذي كان عقوبة لبني إسرائيل ذلك الزمن. مما أدى إلى انقسام الذين حوله من بني إسرائيل بين مصدق ومكذب له. فمن قالوا منهم بأنه ابن زنا واستمروا على كفرهم، وقابلهم آخرون في الكفر قائلين بأنه الله ١٠٠٠!، وغيرهم بأنه ابن الله ١٠٠٠!، ولقد توعدهم الله بقوله :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (٨٧)

(البقرة ٨٧)

﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٥١)

(آل عمران ٥٠-٥١)

﴿ وَكَفَّرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٥٦﴾

(النساء ١٥٦)

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَتُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٥٧﴾

(المائدة ٤٦)

﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ قَوْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ ٱلْيَوْمِ ۚ ﴾ ﴿٥٨﴾

(الزخرف ٦٥)

وحين سئل المسيح عن أعظم الوصايا في توراة موسى، قال : هي [الرب إلهنا رب واحد]، ثم قال : [لا إله إلا الله] (عن الأنجيل). أما الوصية الثانية فهي : [أن تحب الرب إلهك، وتحب قريبك وجارك كنفسك. فلو أحسن كل جار إلي جاره لكانت الحسنى في الناس أجمعين] .

كان موت المسيح بصلبه، فتنة كبرى لمن شبّه لهم وقوع الصلب علي ذاته من مبغضوه وطالِبُو دمه وصلبه من اليهود، ووشوا به إلي حكام ذلك الزمان. فمبغضوه فرحوا وتباهوا بقتله، كما أسلفنا (النساء : ١٥٧ ، ١٥٨). هذه الخصلة ليست بجديدة علي بني إسرائيل، فكم قتلوا من أنبياء الله في السابق، ثم استمرت جرائمهم بقتل زكريا وابنه يحيى، عليهما السلام (كما أسلفنا) .

أما محبو المسيح وأنصاره ومعاونيه من الصالحين، فقد كان هذا الأمر محنة لهم. والحقيقة أن الله بقدرته، سبحانه وتعالى، رفع المسيح عيسى (وكان

يَناهِزُ الثَّلاثِ وَالْثَلَاثِينَ، أَي فِي عَام ٢٩ م.) بَعْدَ أَنْ تَوَفَّاهُ وَفَاةَ النَّوْمِ، ثُمَّ تَرَكَهُ فِي أَيْدِي الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ نَائِمٌ، وَقَدْ تَحَوَّلَ، بِقُدْرَةِ اللَّهِ، إِلَى هَالَةٍ مِنْ نَوْرٍ مُنْتَظَمٍ. ثُمَّ رَفَعُوهُ مَعَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ (لِلْعِلْمِ، نَوْرَ الْكَوْنِ الْهَادِي لِلطَّيْفِ هُوَ نَوْرُ اللَّهِ. أَمَّا ضَوْءُ الشَّمْسِ فَهُوَ ذَهَبِي اللَّوْنِ، وَسَاخِنٌ، وَسُرْعَتُهُ ٣٠٠ ألفَ كِيلُومِترٍ فِي الثَّانِيَةِ، كَمَا أَسْلَفْنَا) وَلَا تَرَاهُمْ أَعْيُنُ النَّاسِ لِأَنَّهُمْ فَوْقَ الْقُدْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ لِلإِبْصَارِ!.... (أَي خَارِجَ الْمَجَالِ الْبَصَرِيِّ الْمَحْدُودِ لِعَيْنِ الْإِنْسَانِ) :

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ﴿٩﴾

(الأحزاب ٩)

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ ۖ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿١٠﴾

(التوبة ٢٦)

﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا ۚ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۚ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿١١﴾

(التوبة ٤٠)

وهكذا، غاب عيسي عن أعين الناس وطالبه، الذين قبضوا علي الحواري "يهودا" مكان عيسي وصلبوه، ثم قتلوه .

يقول إنجيل متي : أن الله أرسل من يُخبر الحواريون (بعد محاولة القبض علي عيسي في "أورشليم"، لصلبه ثم قتله ودفنه) بأنه قام من الأموات، أي من قبره، وأنه سبقهم إلي الجليل، وهناك سيرونه. وأن الأحد عشر حواري ذهبوا إليه في الجليل (أي بدون "يهودا" الأسكربوطي، وتعني القروي، فهو الثاني عشر والتشبيه لعيسي، والذي صُلب وقُتل بدلا منه. وكان يهوذا حواريًا منافقًا ضعيف الإيمان...، عن إنجيل مرقس). وأن بعضهم كان في شك، حتى بعد أن رآوه، مما يدل علي أن معجزة التشبيه سرت عليهم أيضا. وكان لابد أن يبرروا هذه المعجزة بعد أن وعدهم الله، ليكونوا شهداء علي إعجازه في تخليص عيسي. ومن هنا جاء اسمه الذي ذُكر في القرآن الكريم "عيسي" أي المُنقذ، كما أسلفنا .

انتقلت المسيحية إلي مصر، بعد حوالي ٦٠ سنة فقط ، علي يد القديس "مرقس" (أحد الحواريون) وكتب فيها إنجيله الذي يعد من أبلغ الأناجيل أسلوبا وأكثرها حكمة. كما ذهب القديس أيضا، إلي روما وانتقل بين ربوع أوروبا. ولما مات مرقس الإنجيلي دفن في مصر. أقبل المصريون علي إعتناق المسيحية، لأنهم وجدوا فيها إشباعا لنفوسهم المتدنية، وإحياء لعقائدهم القديمة (فالمسيحية ماهي إلا إمتدادا وتطورا لليهودية، من الأديان السماوية. وهي تتمشي أيضا معها ومع ما نادي به فرعون مصر "إخناتون"، من قبل نزول اليهودية، بالنسبة لشريعة التوحيد) وأهمها إيمانهم بالبعث بعد الموت، والحساب والثواب والعقاب ودار الآخرة . كما وجدوا أن في إعتناقها تعبير عن رفضهم لإحتلال الرومان الوثنيون لبلدهم .

ارتبط مسيحيو مصر بكنيسة الإسكندرية ، وانتعشت تعاليم القديس مرقس. وتأسست في الإسكندرية أول مدرسة للدراسات الدينية المسيحية، وتتلذذ فيها العديد من العلماء والفلاسفة من مختلف بلدان الإمبراطورية الرومانية، مما أثار الأباطرة الرومان المؤلهين فرضا . فأعلنوا الحرب علي المسيحيين، وخاصة المصريين منهم، لسحقهم بالذبح والحرق. وكان إلقاء العديد منهم إلي الأسود والحيوانات المفترسة الأخرى، نوعا من أنواع تسليتهم.

وحرقوا كتبهم وهدموا كنائسهم. ولكن المسيحيين صبروا وتحملوا حتى أعتُرف الإمبراطور "قسطنطين" (في عهده، عام ٣٢٤ - ٣٣٧ م.) بالمسيحية، والتي أصبحت بعد ذلك دينا رسميا للدولة الرومانية في عهد الإمبراطور "ثيودوسيوس" (عام ٣٧٩ - ٣٩٥ م.) وحرّم الوثنية تحريما قاطعا في الإمبراطورية .

نشأ نظام الرهبنة في الإسكندرية ومصر لأول مرة في العالم، وكان ذلك في عام ٣٠١ م.، ومنها انتقل تدريجيا إلى العالم المسيحي :

﴿ ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَءَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

(الحديد ٢٧)

ذكرنا أن انتشار المسيحية في مصر صاحبه ظهور الرهبانية (أو الديرية) لأول مرة، والتي كانت أعظم هدية قدمتها مصر، وخاصة الإسكندرية (تدريجيا بعد ذلك) للمسيحية في معظم قارات العالم : آسيا، وأوروبا، وإفريقيا، وبلدانها (أي في فلسطين والشام والأنضول وآسيا الوسطي، وبيزنطة وروما وفرنسا، وإنجلترا وأيرلندا، وليبيا وبرقة والحبشة). والرهبانية هي اعتزال الإنسان عن أمور الدنيا والحياة اليومية بمغرياتها ومشاغليها، والتفرغ للصلاة والعبادة في زهد وتقشف، بعيدا عن شهوات الجسد المادية والجنسية، وسعيا لإرتقاء وكمال الروح. إن جو مصر المعتدل، وأرضها التي تضم صحاري واسعة، تصلح لأن تكون مأوى هادئ وناء عن المدن والناس، قد ساعدت الرهبان والراهبات علي التبتل (أي عدم الزواج) إلي جانب التدريب الروحي للتغلب علي غواية الشيطان.

إن لفظ "راهب" باللغة العربية، هو "موناخوس" بالقبطية. وكذلك الحال لكلمة "متوحد" (من التوحيد، أي المعتزل لأمر الدنيا) فهي "أنكورايست". وقد نقلتهما اللغات الحديثة الأخرى كما هما عن القبطية .

للرهبة نظامان :

النظام الأول- يعتمد في أساسه علي الإنفرادية أو التوحيد، بحيث يقوم الراهب (أو الراهبة) بتدبير حياته ومعيشته وعمله دون معونة من أحد. وقد يعيش في مكان ثابت، أو يهيم في الأرض لا يري وجهه أحد.... وكان الأتبا "أنطون" (الذي لقب بـ كوكب البرية) من أوائل المتوحدين بمصر. وهو من بلدة "قمن العروس"، مركز الواسطي بالصعيد (مواليد عام ٢٥١ م.) وكان من أسرة غنية، واعتزل في جبل القلزم (السويس حاليا) بوادي عربية، قريبا من بحر القلزم (الأحمر حاليا). وتوفي عام ٣٥٦ م..

النظام الثاني- جماعي أو في جماعة، ويطلق عليه نظام الشركة. وهو يتم بالإقامة في دير، محاط بسور عال، يعيش بداخله عدد من الرهبان (أو الراهبات) كلا في "قلايته" (أي صومعته الخاصة به). ويعتمد هذا النظام علي العمل اليدوي، مثل: استصلاح الأرض للزراعة (بقصد إرهاب الجسد، وإذلال الغرائز، لإعلاء شأن الروح) والكتابة والتأليف (وخاصة في الأدب والعلوم الدينية) وتفسير الكتب المقدسة، ونسخ المخطوطات، وتراجم حياة الشهداء وأعمالهم، وقوانين الكنيسة وغيرها. مما ساعد علي انتشار الثقافة الدينية (كان ذلك، طبعا، قبل معرفة الطباعة). وكان الأب "باخوم" من أبناء الصعيد (بلدة إدفو) هو مؤسس هذا النظام، ولقب بـ أبي الشركة. ولقد أقام في دير محاط بسور ومعه عدد من الرهبان، وتوفي في عام ٣٤٩ م .

ولقد انتشرت الأديرة في مصر للرهبان والراهبات في مناطق عديدة، مثل: دير "سانت كاترين" بسيناء (بوادي فيران، بالقرب من جبل موسى). و"واحة الأديرة العتيقة" بوادي النطرون، غرب الدلتا. وهناك أديرة أخرى كذلك بالقرب من البحر الأحمر، ومنطقة مريوط، وفي صعيد مصر .

لقد كان للرهبانية المصرية أثر كبير علي المسيحية بسائر بلدان العالم، لأنها انتشرت من مصر إلي فلسطين والشام والأناضول والدولة البيزنطية وغرب أوروبا. وكذلك إلي ليبيا وبرقة والحبشة بإفريقيا .

لما جاءت الدولة الرومانية الشرقية أو البيزنطية (عام ٣٩٥ م .) وكانت عاصمتها بيزنطة (أو القسطنطينية أو إستانبول حاليا) ألغت هي الأخرى الديانة الوثنية ، واتخذت المسيحية ديانة رسمية لها، وتبعت، في البداية، الكنيسة المرقسية بالإسكندرية. وشهد تاريخ مصري هذه الحقبة، سمو مكانة بطريرك أو "بابا الإسكندرية " . وبذلك أصبح بابا الإسكندرية رأس الدين المسيحي، ومصدر التشريع الكنسي في العالم كله. لدرجة أنه كان يخاطب الأباطرة مخاطبة الند للند. وليس أدل علي ذلك، من اعتراف مجمع " نيقية أو النيقاوي " (أول المجامع المسكونية العالمية) في عام ٣٢٥ م.، بسيادته الدينية علي أساقفة مصر وليبيا وبرقة. وكان في الإسكندرية عمداء اللاهوت ، وكتبت المسيحية، وحظيت كتاباتها وقوانينها بمركز الصدارة .

في هذا العصر، نشأت فئة من الصابئين (أو الصبّة بالعامية) من كل من اليهود والنصارى، أي من من كانوا يهودا في الأصل، ثم دخلت في عقائدهم بعد ذلك بعض العقائد النصرانية. أو كانوا نصارى في الأصل، ثم دخلت في عقائدهم بعد ذلك عقائد يهودية. وهذه الفئة من الصابئة، تجمع إلي عبادة الله تعالى، عبادة روح القدس (أي أن عقيدة كل فرد منهم عبارة عن خليط من اليهودية والنصرانية) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيَّةَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(البقرة ٦٢)

وفي عام ٤٥١ بعد الميلاد ، انفصلت كنائس بلدان غرب أوروبا عن كنيسة الإسكندرية لخلاف في المذهب . ثم أنشأت إيطاليا بالمثل بعد ذلك ، نظام البابوية لغرب أوروبا (بابا الفاتيكان حاليا). أما كنائس بلدان شرق أوروبا

(ومنهم بيزنطة) وروسيا بآسيا، وكذلك الحبشة بإفريقيا، فقد ظلت موالية لكنيسة الإسكندرية .

وفي أواخر حكم البيزنطيين (أي في حوالي عام ٦٠٠ م.) تغيّر مذهبهم الديني، فانشقوا أيضا عن كنيسة الإسكندرية. ولم تسلم المشاعر الوطنية للمسيحيين المصريين (أي الأقباط) من الإضطهاد، حين حاول أباطرة بيزنطة فرض مذهبهم الديني المختلف، عليهم بالقوة. لكنهم رفضوا وخرج بعضهم وعلي رأسهم بابا الإسكندرية " بنيامين " (عام ٦٣٠ م .) ليلا إلى الصحاري وخاصة سيناء الطاهرة، وإلى الصعيد فرارا من القهر، وقاموا بشغل الأديرة القديمة، بالإضافة إلي بناء أديرة جديدة للعبادة .

لقد كان للرهبنة المصرية، أثر كبير علي المسيحية بسائر بلدان العالم (كما اسلفنا). وفي جميع أديرة هذه البلدان، تم الاسترشاد بالقواعد والمبادئ الرهبانية بمصر، وأهمها " أن العمل عبادة " وهي مقولة الأب "باخوم" المأثورة .

وعند الفتح الإسلامي لمصر (عام ٦٤١ م.) نقل القائد "عمر بن العاص" العاصمة من الإسكندرية إلي القسطنطينية (القاهرة حاليا). وأطلق العرب اسم " دار القبط " علي أرض مصر. لذلك، أصبح معني اسم " قبطي " هو "مسيحي" (بدلا من مصري) في أذهان العرب بعد الفتح الإسلامي. وسمح القائد عمرو بن العاص لرجال الدين المسيحي بالعودة إلي مدنهم، وعلي رأسهم البطريرك "بنيامين" التقي (بشهادة القائد ابن العاص نفسه) وفتح كنائسهم وأديرتهم، وممارسة شعائرتهم في أمن وأمان. وكان قد مضى علي هروبهم إلي الصحاري حوالي عشر سنوات . وبذلك احتفظت الإسكندرية بمركزها الديني المسيحي المتفرد حتى يومنا هذا .

لقد كان تصرف القائد عمرو بن العاص متمشيا مع خلق المسلم وتعاليم الإسلام، ومهتديا بسنة وأحاديث رسوله الكريم :

[إذا افتتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرا، فإن لهم ذمة ورحما .]
 [إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير
 أجناد الأرض، لأنهم في رباط إلي يوم القيامة] صدق رسول الله .

واستقرت الحياة والسلام علي أرض مصر. وتزوج المسلمون الوافدون من
 نساء القبط. فامتزجت الدماء العربية المسلمة بدماء غالبية الأقباط، مكونة
 مجتمعا مختلطا من المصريين مسلمين ومسيحيين (أو أقباط) .

جلد الإنسان وعمله

إن الذين يخافون الله، تنقبض جلودهم وقلوبهم، وتتصلب عضلاتها، عند تلاوة القرآن الكريم بلغته المعجزة ، وسماعهم لمواعظه وأحكامه المتكررة ، ووعيده بالعذاب للضالين. ثم تلين وترتخي جلود وقلوب من يشاء الله لهم الهداية والتوفيق إلى الإيمان بذكر الله :

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ ﴿٢٣﴾ ۝ ﴾

(الزمر ٢٣)

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۚ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ۝ ﴾

(الرعد ٢٨)

أى إن جلود وقلوب الذين هداهم الله تتبسط وتطمئن بما جاء بالقرآن الكريم :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ۝ ﴾

(الحجر ٩)

أما من يضلّه الله (لعلمه أنه سيُعرض عن الحق) فليس له من مرشد ينقذه من الضلال .

وإذا رجعنا إلى ما جاء بعلمنا الحديث، وهو قليل (الإسراء : ٨٥). نجد أنه يتمشى مع ما جاء بالقرآن الكريم ، الذي أنزل منذ ١٤ قرناً مضت . فجلد الإنسان غطاء سميك ناعم ومرن لمعظم السطح الخارجي لجسمه (مساحته حوالي متران مربعان) . وللجلد لون متميز، يرجع إلى نسبة صبغة " الميلانين Melanin" السوداء (المشتقة من الدم) بالخلايا الصبغية به. وكذلك توجد هذه الصبغة في الشعر ومشيمة العين وحول حلمتي ثديي المرأة الحامل :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ اللَّسَنَ لَكُمْ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الروم ٢٢)

ويحمي الجلد الأنسجة الرخوة التي تحته من التلف، وهو يمنع فقدان السوائل من الجسم . ومرونته الفائقة تساعد على إعطاء الشكل للجسم، وعلى التكيف مع حركات أعضائه، مثل المفاصل، فيعود إلى وضعه الطبيعي . فإذا نظرنا إلى سطح الجلد من خلال عدسة مكبرة، خاصة جلد ظهر اليد، نشاهد فتحات صغيرة كثيرة تسمى "المسام". وهي تقع بنهاية القنوات الآتية من الغدد العرقية في الطبقات العميقة. وكذلك نشاهد خطوطاً رفيعة تسمى "بخطوط الشد"، والسبب في تواجدها مرونة الطبقات العميقة. فهي التي تعيدها إلى وضعها الطبيعي إذا شُدَّت. فإذا ثَبَّتْ أصابع اليد، مثلاً، وبذلك شُدَّ جلد ظهرها، فستختفي خطوط الشد هذه في الحال .

ويتكون الجلد من طبقتين :

(١)البشرة - وهي الطبقة الخارجية ، وتتكون من ثلاث أنسجة مترابطة :

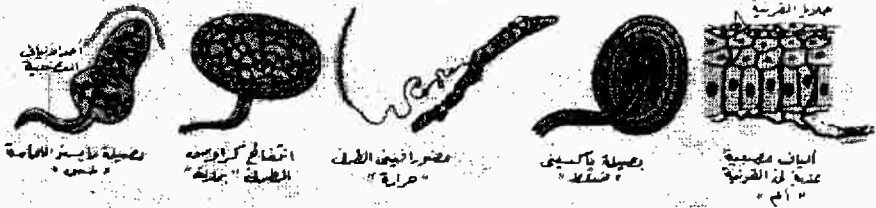
النسيج السطحي - وهو القرني (الشفاف) دائم الاحتكاك ، ويختلف نوعه وسمكه حسب مكانه، من نصف ملليمتر (بجفون العين وشفة الفم وصوان الأذن، وهي

أرق أجزاء) إلى ٦ مم (براحة اليد وعقب القدم، وهي أسمك وأقوى أجزاء). هذا النسيج عبارة عن خلايا طلائية ميتة لا تحس ولا تتفذ الماء. علاوة على أن هذا النسيج السطحي يحمي كل الأنسجة التي تحته من أى شئ ضار لها. ويلاحظ أن هذا النسيج السطحي هو الذى يبلى باستمرار ولكنه، في نفس الوقت، في تجددمستمر.

النسيج الوسطي - حبيبي، وله قدرة مألئة، لإبراز وشد النسيج السطحي .

أما النسيج الداخلي - وهو الثالث، فخلاياه نشطة جدا ودائمة التكاثر وذلك لتجديد خلاياه الحية. وكذلك هو المسئول عن تجديد وحماية البشرة. ولذلك تتجدد البشرة تلقائيا مرة كل شهر تقريبا. ولقد حبا الله هذا النسيج الداخلي بسرعة بنائية لخلاياه أعلى بكثير عن بقية خلايا الجسم الحية، حتى تلتئم جروحه في زمن قصير. وهو يتغذى عن طريق سطح الأدمة المتواجد أسفل منه، وذلك لأن البشرة ليس بها أى أوعية دموية، وإن وجدت بها بعض النهايات العصبية وجسيمات الحس ومستقبلات اللمس (وهذا ما يعين مكفوفى البصر على القراءة بواسطة طريقة برايل) وعلى الرؤية بواسطة لمس الأتامل. وتتماسك "البشرة" مع الطبقة التي تحتها "الأدمة" بواسطة نسيج رابط يعرف بإسم "الغشاء الأساسى الرابط " .

أنواع مختلفة من المستقبلات * أجهزة الاستقبال *



ب) الأدمة - وهي قرمزية اللون. وتتكون أساسا من نسيج يحتوى على خلايا عضلية، وغدد عرقية ودهنية، وشبكة من الشعيرات الدموية للتغذية (أى يتبادل بخلاياها الأوكسيجين مع ثانى أوكسيد الكربون، وكذلك المواد الغذائية مع نفايات

الخلايا) ، وألياف عصبية منتشرة، ومتصلة بالحبل الشوكي والمخ. فهي شديدة الحساسية للمؤثرات الداخلية والخارجية لتنظيم درجة حرارة الجسم وضغط الدم، ويتبعها الشعور بالخوف والراحة والإطمئنان. وهي كذلك مسئولة عن الإحساس لوجود ملايين المستقبلات الحسية، مثل: اللمس والشعور بالضغط الخفيف والشديد واختلاف درجات الحرارة (سخونة وبرودة) عن طريق التمدد والانقباض (للأوعية الدموية والقلب، وكذلك الألياف العصبية) ثم الألم عند الاحتراق (أى عند درجة حرارة أعلى من ٤٥ درجة مئوية) وعند التجمد. كما يتم تنظيم درجة حرارة الجلد، أى الجسم ككل، عن طريق بخر العرق. لهذا يصاحب إحتراق طبقة جلد الإنسان أشد أنواع العذاب له .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

(النساء ٥٦)

ويوم يحشر الكفار والضالون إلى النار ويسألون عما أرتكبوا من الذنوب في الدنيا فينكرون. وهنا تقفل أفواههم وتشهد عليهم جلودهم وما يتبعها من أيد وأرجل وأذان وعيون (أى سمعهم وأبصارهم) :

﴿ أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

(يس ٦٥)

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(فصلت ٢٠)

ومن أدعية المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في سجوده :

[سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره بحوله وقدرته] .

هنا نلاحظ أن كلمة "شَق" سمعه وبصره، يستخدمها علماءنا حالياً كمصطلح علمي، عند خلق أعضاء سمع وبصر الجنين من جلده في بطن أمه .

أى علم وأى إعجاز هذا وفى إعتقادنا، أن علمنا الحديث، سوف يكتشف (إن أجلاً أو عاجلاً) أن خلية الجلد قادرة على تخزين المعلومات !... وهذا ليس على الله بعسير . (راجع ما اكتشفه العلماء حديثاً عن ذاكرة الخلايا ونشر أثناء طباعة الكتاب ، صفحة ١١٨) .

هذا وينمو من منطقتي الجلد أنواع مختلفة أخرى من الزوائد، وهى: الشعر والأظافر والأذن الخارجية :

فالشعر يختلف فى كثافته حسب أماكنه فى الجسم. وتتكون الشعرة من جذع ظاهر، وجذر داخل بصيلة شعرية مدفونة فى الجلد، ومتصل بها غدة دهنية أو أكثر لتشحيم الشعر والجلد. وكل بصيلة متصل بها عضلة صغيرة لتحريك الشعرة بعيداً عن الجلد .

أما **الأظافر** التى عند أطراف الأصابع، فالجزء الأبيض الظاهر من الظفر ينغرس جذره بالبشرة، وجانبيه فى ثناياات صغيرة من الجلد. وهو يرتكز على مهد يتكون بواسطة أدمة الجلد القرمزية اللون. وتتكون المادة الجديدة للظفر عند جذره بواسطة الطبقة التوزيعية لبشرة الجلد، وكلما تكونت مادة الظفر الجديدة، دفعت أمامها المادة القديمة فوق مهد الظفر حتى تصل إلى الحافة فى حوالى ثلاثة أشهر. وإذا أصيب الظفر بضرر، فإن الظفر الجديد الذى يتكون عند الجذر، يزيح بمرور الوقت الجزء المصاب، ولذلك لن يكون هناك ضرر دائم للظفر .

أما الأذن الخارجية فهي مع الأذن الوسطى والأذن الداخلية يكونوا معا الأذن. والأذن الخارجية فقط هي التي تتبع الجلد . وهي عبارة عن جزئين: الصوان- وهو غضروف مغطى بطبقة من الجلد الرقيق القابل للإنثناء (١) .

والقناة السمعية الخارجية- وطولها ٢,٥ سم (٣). ووظيفتها تجميع الموجات الصوتية وحشدها في غشاء الطبلة المتواجد في نهاية القناة في الداخل وعند بداية الأذن الوسطى (٤) .

وللعلم، فالأذن الوسطى عبارة عن حجرة صغيرة تضم ثلاث عظيمات سمعية دقيقة (٥). وهي مرتبة بحيث تنقل ذبذبات الصوت من غشاء الطبلة إلى عضو السمع الحقيقي، وهو القوقعة (١٠) في الأذن الداخلية. ويتم ذلك عن طريق تذبذب بعض الشعيرات (أي الأوعية الشعرية) الصغيرة بداخل القوقعة عبر العصب السمعي (١١) إلى المخ، ولإدراك الأصوات ذات الطبقات المختلفة. وبالأذن الداخلية أيضا قنوات هلالية (٩) مسئولة عن تحديد إتجاه وسرعة تحرك الرأس. وبها أيضا كيسين (٨) بهما نتوءات صغيرة مسئولة عن وعى المخ بموضع الرأس كلما تحركت .

وللجلد عدة وظائف حيوية أخرى أهمها :

(١) حماية الجسم من المخاطر الخارجية، مثل: الكدمات والأشعّات الضارة، إذا طال التعرض لها (مثل الأشعة فوق البنفسجية) والجروح، ومهاجمة الجراثيم الضارة له من أن تشق طريقها إلى داخل الأنسجة وتسبب العدوى . ولذلك يجب الحفاظ على نظافته ، وخاصة الأجزاء المكشوفة منه (ولهذا أمرنا الله سبحانه بالوضوء للصلاة خمس مرات في اليوم) . فالجلد يعتبر مرآة لصحة الجسم. فيه تظهر بعض الأمراض ، أهمها المتعلقة بالأوعية الدموية والقلب (مثل تورم الساقين ، وزرقة وبرودة اليدين والقدمين ، وإحمرار الوجه ، والتقرحات ، وسقوط شعر الرأس) . لذلك، إذا دمر جلد الإنسان

عن طريق الحرق الكامل أو التهتك التام، بسبب الجروح، فهذا يؤدي إلى الموت .

(٢) إخراج جزء من الماء الزائد عن حاجة الجسم عن طريق الأوعية الدموية بالأدمة، على هيئة عرق، عن طريق مسام (فتحات صغيرة) في نهاية قنوات الغدد العرقية في الطبقات العميقة والمنتشرة بكثافات مختلفة حسب أماكنها على سطح الجلد . ويلعب العرق بتيخره دوراً هاماً في تلطيف حرارة سطح الجلد ، وبالتالي حرارة الجسم كله (وهي ٣٧ درجة مئوية) لذلك تعتبر هذه المسام جهاز تكييف طبيعي للجسم ١٠٠٠! سبحان الله . كما يحمل العرق معه بعض الأملاح المعدنية الزائدة، والمواد العضوية السامة(مثل البولينا) الذائبة فيه .

(٣) الحفاظ على طبيعة الشعر والرموش والأظافر، وليونتها بواسطة العضلات والغدد الدهنية الجلدية . والأخيرة تمد الجسم كذلك بفيتامين " د " (D)، حيث أن تعرضها للأشعة فوق البنفسجية المصاحبة لأشعة الشمس، يحول دهونها المكونة من الكولسترول (غير المشبع) إلى فيتامين " د " ، الذي يقي العظام من مرض الكساح .

(٤) تزويد صدر الأم بعد الولادة بلبن لرضيعها عن طريق الغدد اللبنية بثديها .

الجن والإنس

لقد خلق الله الجن والإنس ليس لمنفعته سبحانه، ولكن لكي يعبدوه وذلك فيه منفعة لهم :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾

(الذاريات ٥٦)

فقانون الوجود الذي خلق من أجله الجن والإنس هو عبادة الخالق ، ليس بالشعائر فقط لنعمه الكثيرة عليهم ، ولكن أيضا بالعمل الصالح في الأرض. ولهذا وجب على كل خلقه، بمختلف صوره في هذا الوجود المتحرك ، أن يعبدوه وَيُسَبِّحُوا بحمده، كل بطريقة الخاصة :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝ ﴾

(الإسراء ٤٤)

فمن الجن والإنس الأبرار المتقون، أى المؤمنون، ومنهم أيضا القاسطون (جمع قاسط) وهم الذين حادوا عن طريق الحق والهدى وهم لجهنم وقودا :

﴿ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ۝ ﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ۝ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا آهْدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ۚ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا تَخَافُ خَوْفًا وَلَا رَهَقًا ۝ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ ۚ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝ ﴾

(الجن ١١-١٥)

خلق الله عالم الجن، ومنهم " إبليس"، من نار السموم التي لا يراها الإنسان ولا يعلم عنها شيئاً. لهيبها شديد مُتَمَوِّج ليس له دخان، أى من نار ليست كنار الأرض... ! حيث أن أشعتها خارج نطاق أو قدرة بصر وحس الإنسان (فطول موجاتها غالباً ما تكون مثل طول موجات الأشعة تحت الحمراء غير المرئية علي الأقل ٠٠٠ والله أعلم. وكان ذلك قبل خلق عالم الإنس من طين يابس رنان:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾

(الحجر ٢٦-٢٧)

الجن قادر على الحياة على الأرض وفي باطنها وخارجها، وهو أسرع في الحركة من الإنس. وهو قادر على التشكل علي هيئة أي مخلوق آخر. وفي كل هيئة تكون تصرفاته مقصورة فقط علي هذه الهيئة. يرى الجن الإنس ، والإنس لا يرونهم بالعين في هيتهم الأصلية . شياطين الجن (الشیطان بالمعجم هو المخلوق المتمرد المفسد، أو الروح الشريرة) قادرون على الوسوسة في صدور الإنس بالشر عادة، ويخوفوهم من الفقر. لذلك يحضوهم علي المعصية بكلام معسول كذب في محاولة ليلقوا فيهم الغرور الباطل ، ولإمتحان قلوب المؤمنين منهم في الخفاء .

والله واسع المغفرة ولا يخفي عليه شئ من أمورهم :

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ۗ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

(البقرة ٢٦٨)

﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

(الزخرف ٣٦-٣٧)

فيضل الضعيف منهم ، ويصبح الشيطان وليه وعدوه :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (الكهف ٥٠)

أو يتسلط عليه ويلزمه ليكون له قرين ليضله ويغويه :

أما المؤمن القوي الصادق فيحتمى من الشيطان بذكر ربه ووليه، وبقراءة القرآن .

على الرغم من الضعف الذاتي للشياطين من الجن و الإنس (أى المتمردين المفسدين) إلا أن تأثيرهم على المشركين بالله غالبا مايكل بالنجاح . فالمشركون بالله دائما يحصرون كل همهم في حب الدنيا . ولذلك يصغون لإيحاء الشياطين بقلوب لاتحس بالحق، وبأعين لاترى الأدلة الإلهية، وبآذان لاتسمع الآيات، ويصبحون فى حياتهم كالبهائم لا يعقلون ، بل هم أكثر ضلالاً وإغفالا لقدرة الله، فكانوا من الخاسرين :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

(الأعراف ١٧٩)

وسوف تملأ بهم النار يوم القيامة فى تتابع، أمة وراء أمة :

﴿ قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلِيَكُنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(الأعراف ٣٨)

أما المؤمنون من الجن والإنس فلهم جنات النعيم وزوجات حسان .

﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ فِيهَا ۖ آيٌ ۖ آءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ ﴿١٧﴾ دَوَاتَا أَفْئَانٍ ۚ ﴿١٨﴾ فِيهَا ۖ آيٌ ۖ آءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ ﴿١٩﴾ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۚ ﴿٢٠﴾ فِيهَا ۖ آيٌ ۖ آءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ ﴿٢١﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْحَانٍ ۚ ﴿٢٢﴾ فِيهَا ۖ آيٌ ۖ آءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ ﴿٢٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۚ ﴿٢٤﴾ فِيهَا ۖ آيٌ ۖ آءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ ﴿٢٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطُرُفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۚ ﴿٢٦﴾ فِيهَا ۖ آيٌ ۖ آءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ ﴿٢٧﴾ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۚ ﴿٢٨﴾ فِيهَا ۖ آيٌ ۖ آءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ ﴿٢٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ۚ ﴾

(الرحمن ٤٦-٦٠)

ولقد سخر الله طائفة من الجن والإنس المؤمنين، وكذلك الطير، فى جيش واحد لسليمان يأترون بأمره، ويعاونوه فى البناء والتعمير :

﴿ وَلَسَلِمَنَّ الرِّيحُ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهٖ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُم عَنْ أَمْرِنَا نُنْذِقْهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحْتَرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ ۚ آعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا ۖ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

(سبأ ١٢-١٣)

ويغوصون في البحر لإستخراج اللؤلؤ والمرجان :

﴿ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغْوُصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُم حَافِظِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

(الأنبياء ٨٢)

أما الجن والإنس المشركون بالله، فلقد إدعوا على الله كذباً بأنه إتخذ زوجةً وولداً، ووصفوه بما لايليق به. وظنوا أن الله لن يبعث أحداً بعد الموت، ولا رسولاً من البشر إليهم :

﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿١٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿١٦﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾

(الجن ٣-٧)

ولما حاول شياطين الجن بلوغ السماء والاتصال بالملا الأعلى والتسمّع على ما يدور فيه بين الملائكة عن شئون الإنس في الأرض، وما يكلفهم الله به من التقوى وحسن الخلق، وعلى الغيب المقدر للإنس حتى يبلغوه لأولى الأمر من شياطين الجن ليقوم هؤلاء بفتنة الإنس، وجدوا أن هذا التصنت مستحيل، وأن الطريق إليه محروس بالملائكة والشهب المنفضة الراجمة المحرقة، كما أسلفنا. أما كيف يتم ذلك ولماذا...؟ وهل هو خير أم شر لمن في الأرض...؟ فهذا لم يفسره القرآن الكريم، ولذلك فهو من الغيب بالنسبة للجن والإنس :

﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مُلْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ۖ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْمَعِ ۙ آلَآنَ يَئِجِدُ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ۖ وَأَنَا لَا تَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۖ ﴾

(الجن ٨-١٠)

يا معشر الجن والإنس لن تستطيعوا أن تتطلقوا خارج نطاق جاذبية الأرض إلا بواسطة قوة جبارة ... ! :

﴿ يَمَعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ۖ ﴾

(الرحمن ٣٣)

إن الوجود في الكون حافل بالقوى والأسرار والأرواح والأحياء. والمؤمن الحق هو الذى يحصر تفسيره لكل قول أو رؤية أو تصور يعنّ له، إلى ما جاءت به الكتب السماوية والسنة الرسل والأنبياء، لأن للعقل البشرى مجال معين، وقدرة محدودة في إرتياد المجهول. ولقد خلق الله البشر بالقدر العقلى

والعلمي اللازم له، بالقياس إلى ما حوله ومن حوله فقط، حتى يستطيع أن يؤدي دوره في تعمير الأرض على هدى من شريعة الله .

﴿ وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝ ﴾

(الإسراء ٨٥)

إن عالم الغيب مجهول للجن أيضا، بدليل أنه لما مات سليمان، وكان واقفا مُتَكِنًا على عصاه، ظل كذلك لفترة طويلة والجن يعملون بمشقة في خدمته طائنين انه يصلي! إلى أن أرسل الله حشرة "الأرصفة" فنخرت عصاه من داخلها . فلما إختلت وسقطت وهوى جسده على الارض، هنا فقط، علم الجن أنه مات من زمن طويل :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَهَمَهُ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ۚ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝ ﴾

(سبا ١٤)

وهناك استثناء واحد فقط وهو ما يأذن به الله من الغيب فيطلع عليه من يشاء من رسله وعباده الصالحين :

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝ ﴾

(الجن ٢٦-٢٧)

إن آيات الله المتلوّة في كتابه العزيز لخير دليل على تواجدده وسلطانه وأنه الحق . وأن هذا الكتاب منهج حياة كامل للفرد والجماعة . ولقد أنزله الله متحدياً به الجن والإنس معاً (كمثلين لمخلوقيه الخفى والظاهر بالأرض) .

ليأتيا بمثله، وهو يعلم أنهما سيعجزان ولو تعاونا بعضهم يظهر بعض :

﴿ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ ﴿٨٨﴾

(الإسراء ٨٨)

ووجه الله جماعة من الجن الى محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو قائم يصلى لكى يستمعون القرآن، وكان ذلك فى بداية دعوته لقومه إلى الإسلام. فلما حضروا تلاوته، والتقوا حوله وأنصتوا إليه صامتين منتبهين ، مس قلوبهم .

فأسرعوا إلى قومهم محذرين من الكفر بالله، ودعوهم إلى الإيمان به وبرسوله :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ ﴿٨٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٩٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٩١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٢﴾

(الأحقاف ٢٩-٣٢)

ولقد آمنت هذه المجموعة من الجن إيماناً خالصاً ،أساسه حقيقة القرآن،
وهي التوحيد بالله :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١
يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنُفْشِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ ۝٣ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ
رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَحْبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٤ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ
شَطَطًا ۝٥﴾ (الجن ١-٤)

﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا آهْدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۚ فَلَا تَخَافُ خَضًا
وَلَا زَهْقًا ۝٦ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ
تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝٧﴾ (الجن ١٣-١٤)

فالقرآن، في الأصل، نزل لتحريك قلوب البشر من الإنس ، وفي نفس
الوقت ليظهر لهم وحدة العقيدة والصلة الأكيدة بينه وبين توراة موسى. وليعلن
هذه الحقيقة التي أدركها الجن أولاً ويغفل عنها البشر من الإنس . كذلك تجدر
الإشارة هنا إلى كلام الجن عن الكون اللانهائي، الذي يدل على قدرة وعظمة الله
في خلق السماوات والأرض وما بينهما. والمؤكد بالتالي على ما هو أسهل،
وهو بعث الموتى والحياة الآخرة. وهي القضية التي يقف عندها الإنس في إنكار
وجود منكرين أن الله قادر على ذلك :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ
بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣١﴾

(الأحقاف ٣٣)

هنا يتبين أن الرسول قد علم بقصة الجن عن طريق الوحي ، لأنه لم ير الجن ولم يشعر بهم . وأن القرآن يقرر وجود الجن ، وأنهم يستمعون له بلغته العربية ، وأنهم خلقوا قابلين للهداية والإيمان ، وكذلك للضلال والكفران . وفي يوم القيامة يُعرض الذين كفروا من الجن والإنس على النار ، ويكونوا لها وقودا :

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ ﴾

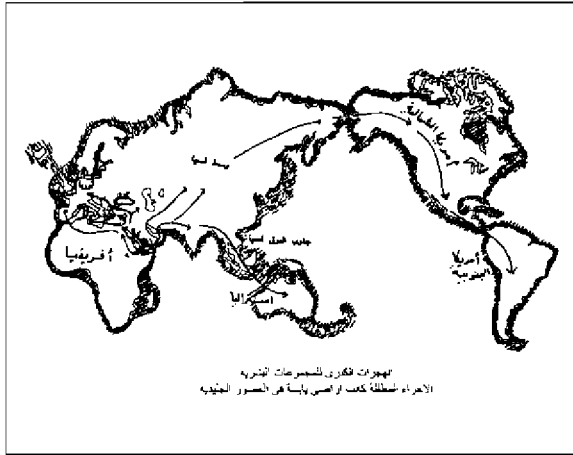
(الأحقاف ٣٤)

﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝ ﴾

(الجن ١٥)

طوفان نوح والبحر الأسود

هاجر قابيل بن آدم وذريته وأتباعه هرباً من أرض أبيه (اليمن على الأرجح) متجها شرقاً ثم شمالاً حتى استقر بهم المقام، في النهاية، بشمال أرض ما بين النهرين (دجلة والفرات) أي عند منابعهما بهضبة الأناضول بشبه جزيرة آسيا الصغرى (تركيا حالياً) والتي تقع بين البحر الأسود والبحر المتوسط .



بعد ذلك لحق بهم، من أرض نهر النيل، نبي الله شيث (أخو قابيل) وبعض من ذريته وأتباعه. وحينئذ مات آدم بأرض اليمن. ومكث شيث بأرض ما بين النهرين يدعو إلى عبادة الله الواحد أكثر من أربعة قرون، إلى أن استقبل

"متوشالحي" بن إدريس بن يارد (حفيد حفيده). وكان مصطحباً ابنه "لامك" وأهلهم، قادمين من الأرض المحبوبة (مصر) لعدم استطاعتهم البقاء فيها، لانتشار الوثنية بها بعد مضي زمن طويل من رفع نبي الله "إدريس" هرمس الهرامسة (كما لقبه المصريون، ويني عالم الكواكب والنجوم السماوية) إلى السماء، ونسيان شريعة التوحيد. وبعد بضعة سنوات أنجب لامك ابنه "نوح". ومات شيث وقد ناهز ٩١٢، وكان قد مضى على وفاة آدم حوالي ١٠٠٠ سنة (عن السنة النبوية). ولقد استغرق هذا حقبة طويلة من الزمان نسي فيها بنو قابيل وبنو شيث تعاليم وشريعة جدهم الأكبر آدم، وعبدوا الأصنام. وقيل أن هذا الشرك بدأ بظهور خمسة من الرجال الصالحين في أماكن وأقوام متفرقة هم: "ود"

فى بنى كلب، و"سواع" فى بنى هزىل، و"ىغوث" فى بنى غطفان، و"ىعوق" فى بنى همدان، و"تسر" فى بنى حمىر :

﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ ﴾

(نوح ٢٣-٢٤)

وبعد موتهم المتعاقب، نحت أقوامهم لهم تماثيلا حبا وتخليدا لذكراهم. ومع مضى الزمن نسى أحفاد الأحفاد لماذا نحتت هذه التماثيل ، وإعتقدوا أنها لآلهة ، فعبدها وأشركوا بالله. وأصبحت المعيشة بأرض ما بين النهرين أيضا جحيما من الظلم والقسوة والضلال .

ولما كان الله لا يعذب قوما على معصية إلا بعد أن يرسل لهم رسولا ليهديهم إلى الحق :

﴿ مَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿٢٥﴾ ﴾

(الإسراء ١٥)

فأرسل الله لهؤلاء الناس (سلالة شىث وإدريس عليهما السلام) أول رسله "نوح" (وكان يعمل نجارا). ولكنهم عصوه فيما أمرهم به من الإيمان والإستغفار لله الواحد، خالق كل شىء. ودعا نوح على الكافرين بالهلاك :

﴿ * وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِي وَتَذِكْرِي بِقَايَسِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٢٦﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا

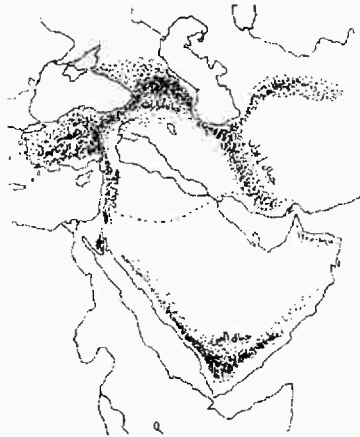
سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ إِنِ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَتَبَايَعُوا مَعَهُ ۚ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٤﴾

(يونس ٧١-٧٣)

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾

(نوح ٢٦-٢٧)

(وعن التوراة - الإصحاح ٦ ، ٧ ، ٨ تكوين) .



المنطق التي أرضها القديس .
المنطق الذي أرضها القديس
المنطق الذي أرضها القديس

واستجاب الله إلى دعوته . وعن طريق الوحي، أمره الله أن يبني سفينة كبيرة من ثلاث طوابق، تحت إرشاده. وأن يجعل بها مساكن وكوَى (جمع كوة أى نافذة) وأن يطلّيها بالقار من الداخل والخارج. وعلمه كيف يُسَيِّرُها. ولما جاء

اليوم الموعود، بدأ الهلاك، بغضبة الطوفان الذي تفجرت له الأرض عن ينابيع وعيون. وخرج الماء فائرا من الباطن المنصهر للأرض (التي شبهها الخالق بالتثور، أى بالفرن) وهطل المطر الغزير منهمرا، كأفواه القرب، فى كل مكان بشمال أرض ما بين النهرين، وشبه جزيرة الأناضول (أى بالمنطقة الواقعة حاليا بين بحيرة عذبة الماء، واصبحت البحر الأسود فيما بعد) شمالا، وشرق البحر المتوسط جنوبا بغرب، وبحر قزوين حتى الخليج شرقا. وبين ست دول، هى حاليا: روسيا (جبال القوقاز) فى الشمال الشرقى، وإيران (جبال زاغروس) فى الجنوب الشرقى، وتركيا (جبال بنطس، وهضبة أرمنيا) فى الغرب، والعراق والسعودية حتى وسط شبه الجزيرة العربية تقريبا فى الجنوب، وسورية فى الجنوب الغربى). وغمرت المياه الوديان وسفوح الجبال وقممها تدريجيا. وكان منظر الطوفان مظلما ومخيفا يثير الرعب. (والطوفان، للعلم ، يخالف الفيضان تماما، فليس له تيار مائى مندفع، بجرف كل ما يصادفه من الأشياء). ونجى الله من الغرق، فقط كل من كان بالسفينة من المؤمنين، ومنهم امرأة نوح المؤمنة، وأولاده الثلاثة (سام وحام ويافث) ونساءهم وأتباعهم وكان عددهم قليل. وكذلك أزواج من مختلف مخلوقات المملكة الحيوانية (ذكر وأنثى):

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۖ ﴾
 ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجْرُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(هود ٤٠-٤١)

﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾ (يس ٤١)

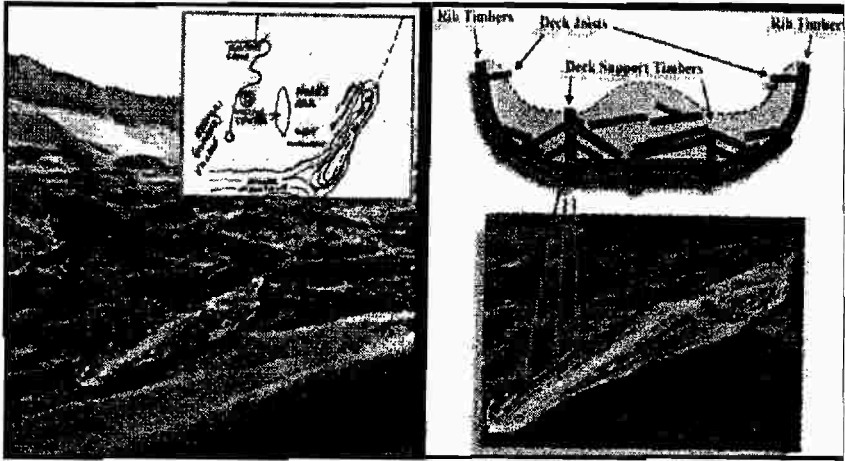
﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۖ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَّعِيَةٌ ۖ ﴾
 (الحاقة ١١-١٢)

ولما صدر الأمر الإلهي بتوقف الطوفان، وكفت السماء عن المطر، وإبتلعت الأرض الماء، رست السفينة على الجودي (أى المرسى، ومؤنثها جُدة) بالقرب من بلدة " ديار بكر" بـجبال " أراراط " أعلى قمة (حوالى ٢١٠٠ متراً فوق سطح البحر) بهضبة أرمينيا، شرق شبه جزيرة الأناضول حالياً، ومنبع أنهار المنطقة:

﴿ وَقِيلَ يَتَآرَضُ آدَمُ مَاءُكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

(هود: ٤٤)

ديار بكر المدينة الرئيسية بـ "کردستان" وتقع حالياً داخل حدود تركيا، وهى مقر الأكراد. كان وطن الأكراد يمتد تاريخياً بين أربعة دول هى : تركيا والعراق وإيران وسورية. ولقد إندثر هذا الوطن بعد إنهيار الدولة العثمانية عام ١٩٢٠ م .



لقد كانت نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين عبرة للناس وعظة، وتَحفظها كل أذن حافظة لما تسمع. ولقد أثبتت الدراسات والحفريات الأثرية فى هذه المنطقة، حقيقة وجود بقايا سفينة نوح، وهى مطمورة فى طبقات رسوبية سميقة من الغرين، التى إعتبرت دليلاً على حدوث طوفان غامر (من سنة

٧٠٠٠ - ٣٠٠٠ قبل الميلاد) وأنها تقع فوق آثار تنتمي إلى عصور سابقة. ولما عادت الحياة للمنطقة، مات نوح عن عمرنا هز ٩٥٠. وقيل موته جمع أتباعه وأوصاهم بعبادة الله وحده. وبارك الله فيهم فتكاثروا ، ولكن لم ينسل منهم من غير أبنائه الثلاثة :

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾

(الصافات ٧٧)

وكونوا أمما عديدة، وفيهم الأنبياء والكتب السماوية. وعلى ذلك إعتبر نوح آدم الصغير والأب الثاني للبشر :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِمْهُمْ مُهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

(الحديد ٢٦)

هذا بالإضافة إلى أنه كان رابع نبي من آدم، وكان أيضا أحد أولى العزم الخمسة من الأنبياء (وهم: محمد وعيسى وموسى وإبراهيم ونوح) عليهم السلام.

انتشرت سلالة سام بن نوح (الساميون) في العراق وسورية وشبه الجزيرة العربية، ولهذا سُمِّيَ سام بأبى العرب .

يُعد الفينيقيون من أوائل الشعوب الحامية المهاجرة من أرض ما بين النهرين إلى الأرض التي تسمى الآن سورية ولبنان. واستقرت على شريطها الساحلى الضيق بشرق البحر المتوسط، والذي عُرف بالساحل الفينيقي (لبنان وفلسطين حاليا). وإسم "فينيقيا" معناه الأرض الحمراء اللون، مثل الدم. وهو مشتق من الإسم الذى أطلقه الإغريق على سكانها "فينكس" أى الشعب الأحمر اللون،نسبة إلى

إذا فالموجة البشرية الأولى، كما أسلفنا، كانت من أصلاب آدم وحواء وذرياتهما، إلى أن انحرفوا بعد ذلك عن شريعة الله. فأرسل الله إليهم الأنبياء والرسل حتى عصر نوح. أما الموجة البشرية الثانية، فكانت من أصلاب نوح وبنيه بالتناسل حتى يومنا هذا. فبالزواج تتكون الخلايا التناسلية، ويتكاملها تنقسم الشفرات الوراثية. وسوف تستمر إلى يوم القيامة، كما أسلفنا .

ولقد وصف القرآن الكريم هذا التناسل الإنساني وخطوات خلقه البيئية عن طريق إنقسام الخلايا بدقة :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا أَلْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

(المؤمنون ١٦-١٩)

إن علم الوراثة قد أكد حديثاً (وبعد ١٤ قرناً من نزول القرآن الكريم) الحقيقة بأن بنى آدم جميعهم، السابقين والحاليين واللاحقين حتى قيام الساعة، هم فى صلب أبهم آدم منذ خلقه ربه، أى فى شفرته الوراثية المتواجدة فى معظم خلايا جسمه، والتي تخلق من بين الصلب والترائب، وشاركته فيه أهمهم حواء. وعلى ذلك جعل الله التزاوج بين الرجل والمرأة سنة من سنن الحياة، وسبباً فى تكاثر البشر لتعمير الأرض .

خلق الله نسل الرجل من نطفة منه (أى المنى، وهو مائى غير متماسك، قليل الكمية به العناصر اللازمة للحياة الأولى، وأهمها الحيوانات المنوية) ومن بويضة المرأة. وباجتماع النطفة مع البويضة فى رحم المرأة يتم تلقح البويضة

إذاً الشيفرات الوراثية لآدم كانت تحتوى على جميع الصفات الوراثية لذريته من أيامه إلي يوم القيامة. هذه الصفات تتوارث أو تنتقل من الآباء الى الأبناء طبقاً لقوانين وضعها الله "سبحانه وتعالى"، واكتشفها العلم الحديث فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى. هذه الصفات الوراثية تنتقل بواسطة أجزاء دقيقة أو وحدات عُرِفَت "بالجينات" أو "المورثات" (Genes). وأن هذه المورثات تُحمل على جسيمات خيطية وهى تتجمع أو تتكدس فى داخل نواة الخلية الحية، وتُعرف باسم "الصبغيات chromosomes" وذلك لقدرتها على اكتساب الألوان والتلون بها. وعدد جزيئاتها يقدر بالبلايين فى نواة الخلية الواحدة (التي لا تَري بالعين المجردة) فى الشيفرة الوراثية فى الإنسان....!. ومن الصبغيات صبغى واحد مُختص بالتكاثر، وبالتالي التخطيط الوراثي للكائن الحي . وهو متواجد فى الخلايا التناسلية لنطفتي الذكر والأنثى، والتي ينتج عنهما بالإخصاب تكوين النطفة الأمشاج، ثم تكوين الجنين بالإنقسام المتكرر (لقمان: ٢٨) كما أسلفنا .

شاعت إرادة الواحد الأحد أن يُخلق كل شئ فى زوجية حتى يبقى هو، سبحانه، منفرداً بالوحدانية. وأوضح زوجية بالكائنات الحية هى التى تتكاثر بالتزاوج الجنسي. كذلك تتضح الزوجية فى الخلايا التناسلية الذكرية والأنثوية (أى النطفة) وفيها تتضح الزوجية التى قد تحمل صبغين متشابهين أو مختلفين. وعند إتحادهما بالإخصاب يكونان نطفة أمشاج، كما أسلفنا. وهذه بالتالى تنقسم إنقساماً مطرداً لتكوين الجنين الكامل بإذن الله. وفى الصبغيات الوراثية يوجد أيضاً الزوجية على هيئة سلم حبلى مفتول يُعرف باسم "اللؤلؤ المزدوج". وهو يتكون من خطين متصلين ببعضهما البعض بواسطة جزء عرضى دقيق يعرف باسم "اللحمة المركزية". وعدد الصبغيات فى خلايا الإنسان محددة بستة وأربعين صبغياً فى ثلاثة وعشرين زوجاً. ويتكون الصبغى أساساً من "الحمض النووى DNA" (كما أسلفنا). وهو يتواجد أيضاً فى زوجية على هيئة شريط طويل حلزوني مزدوج الجدار. ومكوناته أزواج من جزيئات السكر والفوسفات، وأزواج أخرى من جزيئات القواعد النيتروجينية (كالبروتين) وبأعداد لكل .

لقد خلق الله خلية جسد الإنسان لتحمل شفرته الوراثية على عدد من الصبغيات (وهو ٤٦ صبغيا) لتحديد نوعه. بينما جعل خلية تكاثر الإنسان وهى "النطفة" (أى الحيوان المنوى أو البويضة) تحمل كل منهما نصف هذا العدد فقط (أى ٢٣ صبغيا). حتى إذا اتحد الحيوان المنوى للذكر مع بويضة الأنثى وتم الإخصاب، تكامل عدد الصبغيات إلى ٤٦. ونتج عن هذه العملية النطفة المخصبة (أى النطفة الأمشاج) :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

(الإنسان ٢)

هنا يجدر الذكر، بأن الأعضاء التناسلية بجسم الذكر، تنشأ أولا وهو جنين بين صلبه (أى ظهره أو عموده الفقرى) ثم تهاجر الخصيتين وهو طفل إلى مكانهما الدائم أسفل بطنه وخارج حوضه العظمى. أما فى حالة الانثى، فتنشأ الأعضاء التناسلية أولا بين عظام قفصها الصدرى (أى بين ثرائبها) ثم يهاجر رحمها فقط ، إلى مكانه الدائم أسفل بطنها وإلى داخل حوضها العظمى، تاركا المبيضين فى مكانهما الأسمى .

بالعودة مرة ثانية إلى النطفة المخصبة، نقول أنها بعد ذلك، تبدأ فى الإنقسام المستمر حتى تكون " العلقة " أى التى تعلق، أو تغرس، بجدار رحم الأم، ثم تتحول إلى " مضغة "، ومنها إلى مرحلة بناء العظام، ثم كسوة العظام باللحم وإنشاء الجنين. ويخرج هذا الجنين عند ميلاده، بعد فترة تتراوح بين سبعة إلى تسعة أشهر حاملا نصف صفاته عن أبيه وأجداده إلى آدم. والنصف الآخر عن أمه وأجدادها إلى حواء .

إذاً فالشفرات الوراثية- كما سبق الذكر - لجميع البشر الذين تم خلقهم ، ثم ماتوا. والأحياء من بعدهم ، الذين سوف يموت منهم الملايين فى كل يوم، وكذلك الذين سوف يخلقون إلى يوم القيامة، كل هؤلاء كانوا فى صلب الأب

الأول آدم عند خلقه. ومن هذا المخزون الوراثي الأول، إنتقل جزء إلى نوح وإلى كل من آمن معه من بنيه. ويشكل هذا الجزء، المخزون الوراثي الثاني، الذى خلق ويُخلق حالياً ومستقبلاً إلى يوم الساعة :

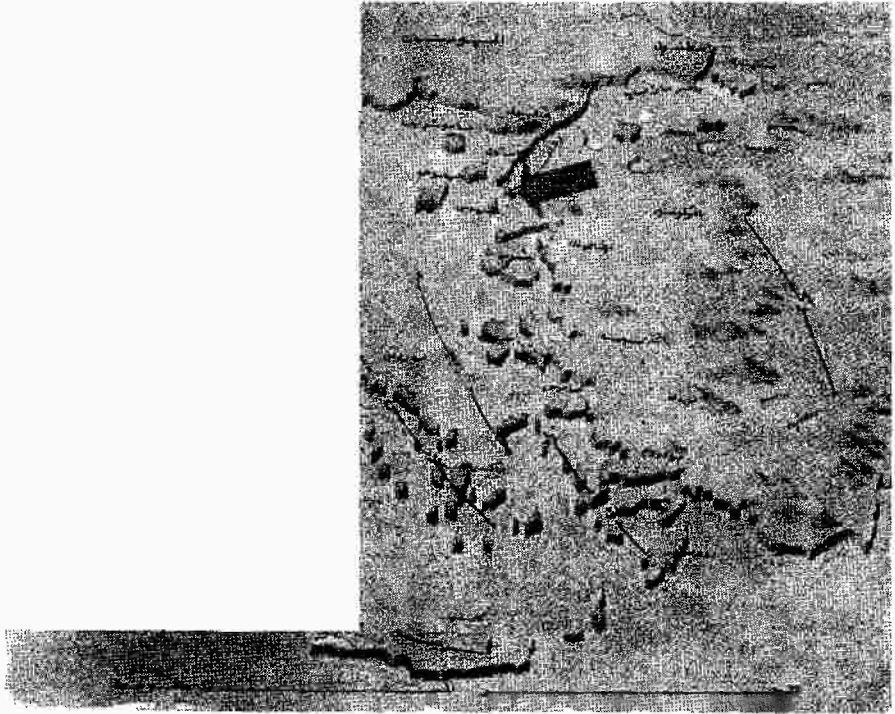
﴿ ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾

(الإسراء ٣)

(راجع خلق الإنسان في الفصل الأول) .

حديثاً إستحوذ البحر الأسود على إهتمام بعض علماء الجيولوجيا (علوم الأرض) بجامعة كولومبيا بالولايات المتحدة (عام ١٩٩٩ م.) وأعلنوا عن نظرية لتفسير تكون التركيب الحيوى الغريب لمياه هذا البحر وسواحله المتعددة والمتدرجة من أسفل إلي أعلى، مع زيادة مساحته مع مضى الزمن، الذى بدأ جيولوجيا مع بداية العصر الحجرى الأوسط : ٨٠٠٠-٤٠٠٠ سنة ق.م.). عند ما حدث نوبان الثلوج فى شمال الأرض نتيجة موجة دافئة (كما أسلفنا). ولقد أدى ذلك إلى إرتفاع منسوب البحر المتوسط ، وإنهيار تربة المضيق الصخرى الذى كان يصل غرب آسيا الصغرى بشرق أوروبا فى هذه المنطقة، فاصلاً حوض منخفض بحيرة عذبة (البحر الأسود حالياً) عن حوض البحر المتوسط المرتفع نسبياً. وبذلك تدفقت مياه البحر المتوسط (المالحة وعالية الكثافة) بقوة إلى منخفض البحيرة العذبة (أى ذات الكثافة الأقل). مما جعل المياه المالحة تتركز فى القاع تحت المياه العذبة. علاوة على إرتفاع منسوب المياه بالبحيرة حوالى ١٠٠ متراً، لتغطى مساحات أكبر حولها، معطية سواحل جديدة مرتفعة ومرتدة (حوالى ٢٠٠ م. فى المتوسط) إلى الخارج، مكونة البحر الأسود الحالى. كما كونت مضيقتين مائيتين (الدردنيل علي البحر المتوسط، والبوسفور علي البحر الأسود حالياً) وهما واقعين على طرفى بحيرة صغيرة (بحيرة مرمرة حالياً) بين البحرين. ولقد تمت هذه العملية (أو هذا الخلق ٠٠٠ سبحان الله) فى زمن قصير لم يتجاوز العامين. مما دمر القرى المتواجدة على الأرض الساحلية

للبحيرة القديمة. وكذلك الحياة البشرية، والكثير من الكائنات الحية من نباتات وحيوانات، نتيجة حدوث التغييرات البيئية للمياه في هذه المدة القصيرة. ولقد أدى ركود المياه وعدم تواجد تيارات حمل، إلى تكوين طبقات من المياه العذبة على السطح والمالحة في العمق (حوالي ٢٠٠ مترا على الأقل) مما جعل المياه المالحة تتخلص من غاز الأوكسجين الذائب بها، وصعوده إلى طبقات المياه الأقل ملوحة ثم العذبة .



البحر الأسود

وبعد عام واحد من الإعلان عن هذه النظرية، أعلن فريق آخر من علماء الحفريات بجامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة أيضا، عن إكتشاف بقايا مباني ومنشآت بشرية، على عمق ١٠٠ مترا من سطح البحر الأسود. وهو يعتبر دليلا جديدا على حدوث فيضان مدّ مرّ في بداية العصر الحجري الأوسط (٨٠٠٠ -

٤٠٠٠ سنة ق.م.). كما إكتشف هذا الفريق من العلماء، ولأول مرة، أن الأشياء المصنوعة من الخشب وفروع الأشجار وبقايا السفن الغارقة في قاع البحر منذ زمن الكارثة، سليمة إلى درجة كبيرة. ولم تتعرض للتآكل والتحلل الفطري بفعل البكتيريا التي تعيش في المياه العذبة. مما يشير إلى ظاهرة إرتباط درجة عدم تواجد غاز الأوكسجين، وخاصة في الأعماق الكبيرة للبحار، بدرجة الحفاظ على بقايا السفن الغارقة في قاع البحر من التحلل الحيوى طوال زمن غرقها. لذلك لوحظ أن حالة الأخشاب والمواد العضوية عامة، تتجه للتحسن كلما كانت على أعماق أكبر، مما يؤكد صحة النظرية سالفة الذكر، والتي فسّرت التركيب الحيوى الغريب لمياه البحر الأسود. كما إكتشف عدد من الجرار التي تستخدم في حفظ ونقل المواد السائلة، مثل الماء وزيت الزيتون والنبذ .

وهذا يذكرنا بقصة مدينة "طرودة" التي وُصفت في "الإلياذة" في الأدب اليونانى القديم. هذه المدينة الأثرية المشهورة علي شواطئ بحر "إيجة" والتي تقع في نفس المنطقة (شواطئ الدردنيل الآسيوية). وكانت هذه المدينة مقامة علي تل يسمى "حيسارليك" الذي يرتفع حوالى ٣٣ مترا. ولقد إكتشف أنه يتكون من تسع طبقات متدرجة من الحجارة. وكانت كل طبقة تمثل مدينة (عام ٣٢٠٠ ق.م. - ٥٠٠ م.). ولقد بدا أن كل من هذه المدن قد بني محاذيا تقريبا لبقايا المدينة السابقة. ولقد اتفق علماء الآثار علي أن مدينة طرودة كانت السابعة. ولقد أمكن الوصول إلى هذه النتائج بدراسة الأساليب الفنية المتنوعة التي استُخدمت في البناء، ومقارنة أدوات البناء وخاصة الفخارية التي وجدت في كل طبقة .

ويعتقد البعض أن هناك علاقة تشابه بين ما حدث بهذه المنطقة من التغيرات الجيولوجية والبيئية، نتيجة الكارثة الطبيعية التي وقعت منذ حوالي ٥٥٠٠ سنة قبل الميلاد، وبين الطوفان الذى قضى على قوم نبي الله نوح الكافرين، والذي حدث بنفس المنطقة كما جاء بالقرآن الكريم الذى أنزل منذ ٤٠٠ سنة مضت، وإن كان من الصعب تحد يد السنة التى حدث فيها طوفان نوح، خاصة وأن الكتب السماوية لا تحدد السنوات....

﴿ قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١٠ ﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا ۚ فَاصْبِرْ ۚ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ ١١١ ﴾

(هود ٤٨-٤٩)

ونحن مع هذا الاعتقاد، بل ونزيد عليه بأن هناك بالإضافة إلى التشابه، نواكب وتكامل بين الحديثين، أى الطوفان والفيضان، خاصة وأن الكارثة الطبيعية ما هى فى الحقيقة إلا عقاب إلهى موجه إلى الضالين من العباد أحيانا.... . وسبحان علام الغيوب .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۚ وَتُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۚ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى انْتِقَامٍ ١١٢ ﴾

(الزمر ٣٦-٣٧)

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ١١٣ ﴾

(التوبة ٧٨)

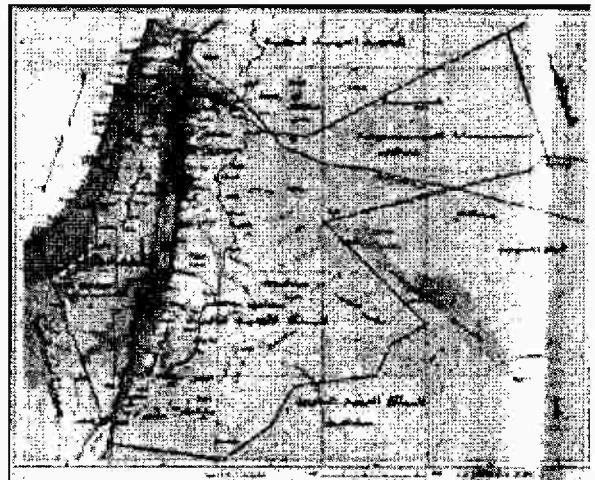
صيحة قوم لوط والبحر الميت

نبي الله لوط، هو لوط بن هاران بن تارح من سلالة سام بن نوح (عن التوراة). و"لوط" إسم عبري وهو نفسه في القرآن، وتعريبه "المستور"، أى المستور من الفضيحة :

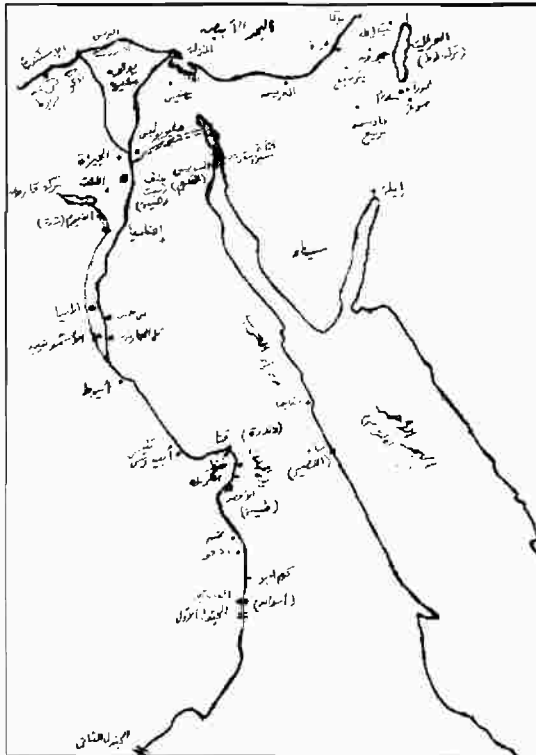
﴿ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفَىٰ فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ (الحجر ٦٨)

وكان للوط أخت إسمها "ساراي" وبَدَله الله لها إلى "سارة" ووهبها قسط كبير من الجمال والتقوى . وكان أبوهما "هاران" قد مات فى سن مبكرة فكفلهما عمهما نبي الله "إبراهيم"، وتزوج من سارة . آمن لوط وسارة بعمهما وبربه، واهتديا بهديه. لم تطب لهذه العائلة الإقامة ببلدة "أور" بجنوب أرض ما بين النهرين (العراق حاليا) بين أهلهم وقومهم من الكلدان والسومريين، فهاجروا ومن معهم فى سبيل الإيمان بالله (العنكبوت: ٢٦. الصافات: ٩٩) وكان ذلك فى حوال عام ١٩٠٠ ق.م. :

﴿ فَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (العنكبوت ٢٦)



ساروا شمالا إلى بابل وأشور، ثم غربا إلى "حاران" بلد أجدادهم حيث أقاموا حوالى خمس سنوات. وهناك مات الجد تارح (آزر بالعربية) ودفن على كفره. ومن حران ساروا إلى حلب بالشام. ثم إتجهوا جنوبا إلى حماه ثم شكيم (نابلس حاليا) بأرض كنعان (فلسطين حاليا) وهى الأرض التى وعد الله إبراهيم ولوط بالتوجه إليها. فسكنوا فيها ولكن لم يطل بهم المقام، لجذب الأرض، بسبب القحط والمجاعة. فانطلقوا جنوباً إلى "بيت أيل، أى بيت الله أو بيت المقدس" ، ثم إلى حبرون (الخليل حالياً) وهى تقع بين منتصف ساحلى بحيرة صغيرة مأوها مالح (حاليا البحر الميت) والبحر المصرى (حالياً المتوسط) حيث أقاموا سنوات بعدها .



فى هذا التوقيت (حوالى عام ١٨٧١ ق.م.) كانت مصر فى حالة من الأمن والإستقرار والحضارة الراقية، مما جعل الحياة الإجتماعية بها مزدهرة (عصر

الإمبراطورية المصرية الأولى، والأسرتان ١٢، ١١ عام ٢١٤٣-١٧٨٧ ق.م.). وشجعت هذه الظروف إبراهيم ولوط لزيارة مصر والتعرف على ربوعها وأهلها وديانتهم ، مع محاولة نشر دعوة التوحيد بها. وقد إبراهيم ولوط ومن معهم على ملك مصر (وقد علم بمكانتهما في قومهما) على أنهم وفد رسولى بعثه الرب. فاستقبلهم بترحاب وأحسن ضيافتهم لمدة خمس سنوات. وأغدق عليهم بالمال والجوارى والعبيد والماشية. من المؤكد أن ملك مصر جلس إلى إبراهيم ولوط وسمع منهما وتجاوز معهما و تأثر بهما ، ولذلك سمح للوفد بالتجول فى ربوع البلاد شمالاً وجنوباً حتى وصل إلى بلدة بنى حسن (إسطنبول عنتر حالياً بالقرب من المنيا) بالصعيد. وكان إبراهيم ولوط فى تحركهما بين المدن يقومان بالدعوة، أى عبادة الله وحده، ونشر عقيدة التوحيد والحث على التحلى بمكارم الأخلاق والعمل الصالح مما ينفع فى الدار الآخرة. وكان الهدف من ذلك محاولة إعادة إنبات بذرة ملة التوحيد التى سبق وأن غرسها كل من نبيا الله شِيث وإدريس فى أرض مصر، والتى جفت بمرور الزمن. لكن دعوة التوحيد تجمدت إلى حين لوقوف الكهنة لها بالمرصاد. فبقيت حبيسة فى صدر كل من آمن بها (حوالى ٣٠٠ سنة) إلى عصر يوسف عليه السلام .

وبعد إنتهاء الزيارة لمصر، عاد الوفد إلى حبرون بأرض كنعان. وفي حبرون، إفترق لوط عن إبراهيم بتكليف من الله سبحانه، للذهاب كرسول منه إلى قوم "سدوم وعمورة"، وهما قريتين عند الطرف الجنوبي للبحيرة الصغيرة المالحة ، وملبياً لدعوتهم :

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾

(الصافات ١٣٣)

وهناك تزوج منهم (علماً بأنه لا ينتسب إليهم) وأتاه الله الحكمة والعلم، وكان ممن فضلهم على العالمين :

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴾

(الأنبياء ٧٤)

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

(الأنعام ٨٦)

كان قوم سدوم وعمورة ذوى أخلاق فاسقة ولا يستحيون من منكر يأتونه فى مجتمعهم بجهل وعلانية. فقد نفثى فيهم الشذوذ الجنسى ، فيأتون الرجال والغلمان شهوة دون النساء . وهذه المعصية المخجلة لم يسبقهم إليها أحد من البشر .

ولمّا كذبوا لوط وأنكروه، وفقد الأمل فى هدايتهم، لجأ إلى الله لينجيه منهم لمّا هددوه بالرجم والطرد من بينهم. فأرسل الله لهم بعض الملائكة لإنزال العذاب بهم :

﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ
 الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ
 قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ
 مِنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنْوَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ
 مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۖ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

(الأعراف ٨٠-٨٤)

وطلبت الملائكة من لوط الخروج وأهله، الذين كُتِبَ لهم النجاة من القرية
 (أى بدون إمرأته التى من قوم سدوم وعمورة وظلت على كفرها). وأمروهم
 بالسير ليلاً، والآن يلتفت أحد منهم خلفه عند سماعهم أصواتاً مروعة تزلزل
 الجبال وتميد بالأرض وأمطاراً من الحجارة المخربة، لكي لا يرى هول العذاب
 فيصاب بشر منه :

﴿ فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ
 وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَائِهِ
 مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

(الحجر ٦٥-٦٦)

إن امرأة لوط الكافرة، الخائنة بالتأمر عليه بإرشاد قومها إلى ضيوفه وإفشاء
 أسرارهِ وتحركاته، سوف يحل بها من السخط والعذاب ما سيحل بأهل القرية :

﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۖ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا
 امْرَأَتَهُ ۚ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

(العنكبوت ٣٢)

وأخذت الصيحة قومه صباحاً وما يتبعها من زلزال وصواعق، فخسفت الأرض بالقريتين، وقلبت ديارهم جاعلةً عاليها سافلها، فتهدمت على رؤسهم. ومن كان منهم في العراء أمطرهم الله بحجارة من طمي محمي حتى تحجر، وبذلك هلكوا جميعاً :

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوِّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾

(هود ٨٢-٨٣)

لهذا سميت القريتين سدوم وعمورة " المؤتفكات " جمع مؤتفكة أى المنقلبة رأساً على عقب، كما جاء بالقرآن الكريم :

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِم نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

(التوبة ٧٠)

وكذلك أطلق على البحيرة الصغيرة إسم " بحيرة لوط أو بحيرة الأسفلت " لأن كتلا من القار ظهرت على سطح مائها المالح بعد وقوع الزلزال .

مضى لوط وأهله كما أمر، والتجأ إلى قرية قريبة تسمى "صوغر" (أى الصغيرة). وبها أقام ورزق بولدين من زوجته الأخرى المؤمنة، إنه البكر "مؤاب" ومن بعده "بن عمى"، وكان من نسلهما "المؤابيون والعمونيون". بعد ذلك ذهب لوط للإقامة مع عمه إبراهيم فى حبرون .

وقد قيل حديثاً أن بعض آثار من مد ن قوم لوط قد إكتشفت أخيراً على الشاطئ الجنوبي الشرقي للبحر الميت (أو بحيرة لوط). وهي واقعة على طريق مطروق يسلكه المسافرون إلى الشام لتكون دليلاً واضحاً وآية وعبرة للعابرين :

﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّا لَنَسِيلُ لِمُقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

(الحجر ٧٣-٧٧)

﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

(العنكبوت ٣٤-٣٥)

﴿ وَإِنَّا لَنَنْزِلُوكَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

(الصافات ١٣٧-١٣٨)

ذكرت قصة لوط في التوراة، كما وردت في القرآن الكريم، وخالفته في نقطة وهي أن امرأة لوط الكافرة خرجت معه وأهله، وأنها وهي سائرة مبتعدة عن القرية خالفت التعليمات والتفتت للخلف، فتحولت إلى عمود من الملح...! وحديثاً، ثبت علمياً أن منطقة حوض البحر الميت (بحيرة لوط سابقاً) ووادي عربة بين فلسطين والأردن هي أدنى أو أخفض أرض على سطح اليابسة (حوالي ٤٠٠ متر تحت سطح البحر، وأصبحت تغطي حوالى ألف كيلو متر مربعاً). وسميت بحيرة لوط بالبحر الميت، لأن درجة ملوحة مياهه عالية جداً لدرجة لا تسمح بتواجد أى نوع من الحياة فيه (أى كائنات نباتية أو حيوانية

حية). والسبب في ذلك كونه بحيرة مغلقة، بالإضافة إلى أن طبيعة تربة المنطقة بها نسبة عالية من الجبال المتكونة من الملح الصخري. ويجرى حاليا إستغلالها إستغلالا إقتصاديا . وهنا كثيرا ما يراودنى تساؤلا وهو: هل هناك علاقة بين طبيعة تربة هذه المنطقة أو ترابها، وبين ما آلت إليه امرأة لوط الكافرة لما إلتفتت للخلف كما ورد بالتوراة.....؟

حديثا يُطلق إسم "الشرق الأدنى" على منطقة البحر الميت وماحولها. وفُسِّرَت بالشرق الأقرب إلى مكة أو العرب، وهى الطرف الجنوبى للشام. وبعد الإكتشافات الحديثة بعلوم الأرض (الجيولوجيا) بالنسبة لعمق منطقة حوض البحر الميت، يمكن إضافة معنى آخر (من دنا يدنو فهو دان، أي منخفض) لهذا الإسم، وهو الشرق المنخفض أو الوطنى أو الهابط، ومؤنثها "الدنيا" التى هبط إليها آدم عليه السلام، بدليل ما ورد بعشرة من سور القرآن الكريم منها :

﴿ اَلَمْ غَلَبَتْ اَلرُّومُ ﴿١﴾ فِيْ اَدْنٰى اَلْاَرْضِ وَهُمْ مِّنْۢ بَعْدِ عَلٰیهِمْ سَیَغْلِبُوْنَ ﴿٢﴾ ﴾

(الرؤم ١-٣)

﴿ يٰٓاَيُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِاَزْوَاجِكُمْ وَنَسَاۤءِ الْمُؤْمِنِیْنَ یُدْنِیْنَ عَلَیْہِنَّ مِنْ جَلِسِیْہِنَّ ذٰلِكَ اَدْنٰی اَنْ یُّعْرَفْنَ فَلَا یُؤْذِنُوْهُنَّ ۚ وَكَانَ اللّٰهُ غَفُوْرًا رَّحِیْمًا ﴿٥٩﴾ ﴾

(الأحزاب ٥٩)

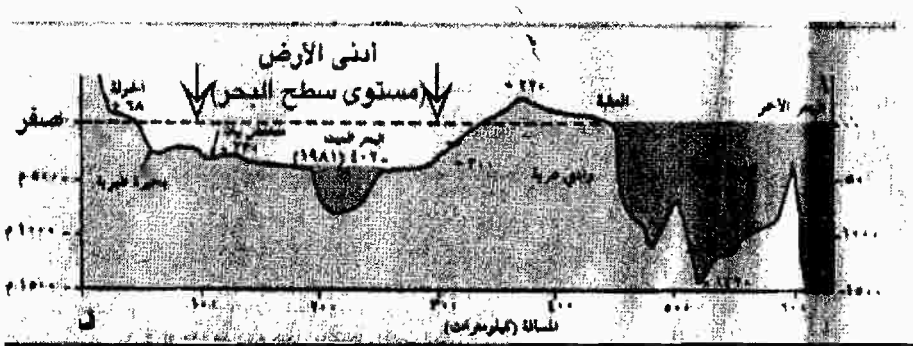
﴿ وَهُوَ بِالْاُفُقِ الْاَعْلٰی ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلّٰی ﴿٨﴾ ﴾

(النجم ٧-٨)

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ
وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾

(الملك ٥)

كما أن لفظ " كنع " فى العربية يعنى مال ونزل . وأصل هذا اللفظ جاء من إسم " كنعان بن حام بن نوح " ، ومعناه فى اللغات الكنعانية والآرامية والعبرية " الوطئ " ونسله الكنعانيون وأرضهم " أرض كنعان " ترجمة لأسم فلسطين بلغة الكنعانيين . وهذا من إعجاز وعلم القرآن الكريم ! الذى أنزل منذ ١٤ قرناً مضت .



خسف الأرض بقارون وبحيرته

بالرغم من وضوح الآيات الدالة على صدق رسالة موسى إلى قومه من العبرانيين (سلالة يعقوب ويوسف والأسباط الذين إستضافتهم مصر سنوات عديدة تبلغ ٥٠٠ سنة تقريباً) وكذلك إلى فرعون المستكبر وأتباعه من المصريين، إلا أن من آمن به كانوا فئة قليلة من الشبان الضعفاء، لخوفهم من ردهم إلى الوثنية :

﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾



(يونس ٨٣)

أما شيوخ بنى يعقوب وعلى رأسهم قارون، فكانوا خونة لشريعتهم (أى لشرعة التوحيد) وناقضوا فرعون وبلاطه. وقالوا لموسى: لقد أودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد أن جئتنا. أما موسى فقد شجع المؤمنين وقوى إيمانهم بآلا يخشوا سوى الله وحده، وأن يسلموا أمورهم إليه. وأوصاهم بالصبر والدعاء بأن ينجيهم من القوم الظالمين، ويهلك عدوهم. لكن بنو يعقوب كانوا قد شعروا بعد معاهدة السلام، التى وقعها الفرعون مع ملك خيتا (تركيا حالياً) بتضييق الخناق عليهم بالنسبة لخروجهم من مصر إلى أرض كنعان (فلسطين حالياً) ليستوطنوها وتصبح دولة لهم، وبذلك يخرجوا من دائرة النفوذ المصرى. ولكن للأسف سُد باب هذا الأمل فى وجوههم حين تزوج الفرعون من ابنة ملك خيتا. لذلك أخذوا يصبّون جَم غضبهم على موسى بإيذائه والتعرض له بالعناد والمكابرة التى تشوبها الوثنية تشبهاً بالمصريين :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

(الصفه)

ومن قول المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فى هذا المقام :

قال الإمام أحمد - حدثنا أحمد بن حجاج، سمعت إسرائيل بن يونس، عن فلان . . . ، عن عبد الله بن مسعود قال: أتيت رسول الله فقلت : يا رسول الله ! إنك قلت لنا لا يبلغنى أحد عن أحد من أصحابي شيئا وإنى مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا . . . فأحمر وجه رسول الله وشق عليه، ثم قال:

[دعنا منك فقد أودى موسى أكثر من ذلك فصبر]

رواه أحمد فى مسنده (٣٨٠ / ١ ، ٣٩٦ ، ٤٣٦ ، ٤٤١) .

ولقد بدا عنادهم وتسويفهم هذا بشكل صارخ فيما أنزل على موسى بشأن ثلاث معجزات لبني يعقوب لتثبيت لهم، بطريقة ملموسة، أن الله واحد، وأنه على كل شئ قدير، وأن موسى نبي الله لهم ، وهى :

(١) معجزة البقرة :

كان فى بنى إسرائيل شيخ غنى له ابن وحيد قتله ابن عمه طمعا فى ميراثه، ثم جاء يطالب بدمه قوما آخرين. فأنكر الآخرون قتله، واحتكم الطرفان إلى موسى .

فقال موسى: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ليكون ذلك الطريق الذى يؤدى إلى معرفة القاتل. ولكنهم إستغربوا أن تكون هناك صلة بين قتل القتيل وذبح البقرة قائلين: أتسخر منا يا موسى! . . . فرد عليهم قائلا: أعوذ بالله أن أكون من

الجاهلين الذين يسخرون من غيرهم. ولما كان بنو إسرائيل جُبلوا على عدم طاعة أوامر الله، وعدم المسارعة في تنفيذها... لذلك قالوا لموسى: أطلب إلى ربك أن يبين لنا صفة تلك البقرة. فقال لهم أن الله أخبرني بأنها وسط في السن، صفراء شديدة الصفرة النقية لا يشوب لونها أى شائبة، تعجب الناظرين، فنفذوا ما أمركم الله به. ولكنهم عادوا يطلبون المزيد من المعلومات بشأن هذه البقرة. فقال لهم: إن الله يقول أنها بقرة لم تهان بالعمل في الزراعة ولا فى سقى الأرض. وأخيرا قالوا: الآن وضع الوصف، وأتوا بالبقرة المتصفة بهذه الأوصاف، فذبحوها على مضض وبعد تردد وجهد جهيد (والسبب فى ذلك أن ببعضهم شىء من الوثنية المصرية، وخاصة بالنسبة للبقرة التى يقدها المصريون، لأنهم يعتبرونها رمزا للبر والرحمة). وكان المقصود من طلب الله منهم بذبح بقرة، هو أكل لحمها، وفى ذلك تقويم وتربية نفسية لهم. ولقد أوحى الله لموسى بأن يقول لبنى إسرائيل: إضربوا القتل بجزء من هذه البقرة. فلما فعلوا ذلك، أحيا الله القتل وذكر إسم القاتل بقدرة الله، ثم سقط ميتا مرة أخرى. وأخذ القاتل وقُتل. وكانت معجزة من الله لموسى على قومه الذين، مع ذلك، لم يستجيبوا ولم تخشع قلوبهم .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْخَوْا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿٧٧﴾ قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ ﴿٧٨﴾ قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْتُهَا تَسُرُّ النَّظَرِينَ ۖ قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ

فِيهَا قَالُوا أَلَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۖ فَذَحِّقُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٦٨﴾ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۖ كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ أَلْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ ۖ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾

(البقرة: ٦٧-٧٣)

وللعلم، إن ما حدث في هذه القصة يشبه في عمومها ما يحدث حالياً بمصر ويسمى "يمين القسامة". من هذه المعجزة، يتضح أن أحداثها غالباً ما تتم إلا بأرض زراعية موسمية ثابتة، تكثر فيها الأبقار لإستخدامها في الحرث والدراس والسقى، بالإضافة إلى تقديس بعضها كما كان يحدث في مصر قديماً، وليس في برية، مثل صحراء سيناء. ومع قوم حكم الله عليهم بالتيه والتجول وعدم الإستقرار حتى الهلاك (وهو ما نرجح حدوثه قبل، وليس بعد، خروج موسى وبني يعقوب من وادي نهر النيل إلى صحراء سيناء كما ذكر بعض المفسرين ... !).

٢) معجزة جرى الحجر :

لقد بلغ السفه وسوء الأدب ببني إسرائيل أن أشاعوا عن موسى أن به عيباً بجسده، لأنه كان دائماً يغتسل وحده، مخالفاً لعادة قومه بالأغتسال عراة وفي جماعة، ينظر بعضهم إلى سوءة بعض. وينفى هذا الإدعاء حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي يقول :

« إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً، لا يرى من جسده شيء فأذاه من أذاه من بني إسرائيل وقالوا إن موسى ما يستتر هذا السر إلا من عيب بجسده كالأذرة

(وهي ورم في الخصية، وتنشأ عن طريق نقل الدودة الخيطية "الفيلارية" التي يحملها البعوض، وينقلها إلى جسم الإنسان عن طريق اللدغ). أو بجسده إما برص وإما آفة. وأن الله تعالى أراد أن يبرئه مما قالوا. وأن موسى خلا يوماً

وحده فوضع ثيابه على حجر ثم إغتسل. فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها، فحدثت المعجزة، وهى جرى الحجر بثوبه رغم أنفه. فأخذ موسى عصاه وصار يجرى خلف الحجر خارج الماء وهو يقول: ثوبى حجر ثوبى حجر ٠٠٠ إلى أن توقف الحجر فى جمع من بنى إسرائيل، وموسى عارى البدن مكشوف العورة، فظهر لهم أنه بريء من العيب الذى إتهموه به. ورأوه كأحسن ما خلق الله تعالى. [. صدق رسول الله .

وكذلك نفى القرآن الكريم هذا الإدعاء، وبيّن أن موسى كان عند الله وحيها، أى سيد قومه :

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوُا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ۝ ﴾

(الأحزاب ٦٩)

(الصف : ٥) سبق ذكر نصها .



(٣) معجزة خسف الأرض بقارون :

لقد قام بهذا الإيذاء الأخير شخص عبراني، قيل أن اسمه "قارون" (أو بصهار). وهو شقيق "عمرام بن قاهت بن لاوى بن يعقوب" (أى أن قارون هو عم لموسى). وللعلم، هذا النسب بدون إثبات. وشخصية قارون تمثل طغيان المال وعبودية السلطة الحاكمة (أى فرعون). فكان قارون عدوا لموسى، وسوط عذاب عليه، فى سبيل وصوله إلى مركز القوى الثا لث، آنذاك، فى نظام الحكم بعد فرعون، ورئيس كهنته هامان :

﴿ وَقَرُونَ وَفِرْعَوْنُ وَهَمَانُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

(العنكبوت ٣٩-٤٠)

ونسى أو تناسى قارون ملة جده الأكبر يعقوب، ولذلك توجه موسى برسالته إليه (إسوة بفرعون وهامان) لرده إلى دين التوحيد. لكن قارون إنضم إلى فرعون وهامان فى تكذيب موسى، وإتهموه بالسحر والكذب :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤١﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقَرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾

(غافر ٢٣-٢٤)

إنفرد القرآن الكريم بذكر إسم قارون أربع مرات (القصص : ٧٦ ، ٧٩ . العنكبوت: ٣٩ . غافر: ٢٤) حيث تجاهلته التوراة. وهو إسم عبرانى معناه "المنور أو الموقر". ويقال أن قارون كان فعلا إسماعلى مسمى، فهو جميل الطلعة وضاء المحيى. وكان يخرج فى موكب كبير مهيب يأتى فى الترتيب بعد موكب الفرعون، فاغتر به الذين يحبون متاع الحياة الدنيا، وتمنوا أن يكون لهم مثل ما أعطى قارون من المال والجاه فى الحياة. وكان قارون رجل غنى جدا، يمتلك قصرا كبيرا وأراضى خصبة على جانب بركة منخفض إقليم الفيوم. مع العلم بأنه جمع ثروته مقابل خيائته ومعاداته لقومه لصالح سيده الفرعون، لدرجة أنه كان يحتكم على خزائن وكنوز ينوء بحمل مفاتيحها الرجال الأشداء :

﴿ إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

(القصص ٧٦)

ومن طريف ما يُذكر فى هذا المقام، أن المصريين (حتى يومنا هذا) يتخذون من خزائن قارون موسى وما بها من المال الكثير، مثلا للتعبير عن الحب الشره للمال أو للشئ الغالى الثمن جدا. فيقولون: فلان..... ولا مال قارون يكفيه (أى يملأ عينه) وكذلك للشئ المرتفع الثمن جدا (أى مال قارون لا يكفى لشرائه) .

وكان أهل العلم والموحدون من قومه ينصحونه بعدم الغرور بثروته، وأن يجعل نصيبا منها ينفقه فى سبيل الله، وأن يحسن إلى الفقراء ويتعد عن الفساد. ولكنه لم يستجب، وادعى أن ماله قد أتاه عن طريق ما عنده من علم الكيمياء، وخاصة فى تحويل المعادن الرخيصة إلى معدن نفيس (يقصد الذهب أو الفضة)

متجاهلاً أن كنوزه وأتباعه لن يَغْنِيَاهُ عند الحساب. وأن الله قد أهلك من قبل من هم أشد منه قوة وأكثر مالا وأعز نفراً :

﴿ إِنَّ قُرُونَكَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوتُ بِالْعُصْبَةِ ۚ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۚ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۚ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ۝ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ۝ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَبِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُمْ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ اللَّهُ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ ۝ ﴾

(القصص ٧٦-٨٠)

ولما ضيق موسى على قارون الخناق لدفع زكاة ماله، شحت نفسه بالمال وأدار ظهره، بل وقرر أن يكيد لموسى بإتهامه بجريمة ملفقة. فاستأجر مومساً لتقذف موسى على الملأ أنه زنى بها، وعليه فهو يستحق الرجم. ولكن الله حفظ موسى، وجعل المرأة تتلعثم وتتردد ويرتج عليها الكلام لما جاءت للشهادة، ثم تعترف بالحقيقة وتبرئه :

﴿ يَتَّيِبُهُمُ اللَّهُ لِيَأْمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾

(الأحزاب ٦٩)

من هذا يتضح، أن موسى قد أرسل (كما سبق وأن ذكرنا) إلى فرعون وهامان المصريين، وأيضا إلى بنى يعقوب ومنهم قارون. وأن ما ترتب على مواجهة قارون من خسف الأرض به وبقصره وبكنوزه كانت آية لهلاكه. وصار الذين تمنوا في السابق منزلته من الدنيا، يندمون بعدما شاهدوا ما أصابه، ويشكرون الله على إحسانه إليهم وهدايتهم إلى الإيمان :

﴿ خَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَارِهُ اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاهُ وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾

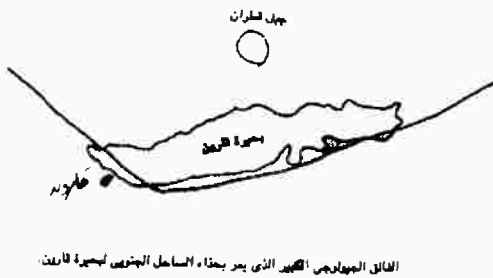
(القصص ٨١-٨٢)

هذا قد حدث، وقارون مقيم بأرض وادى النيل، وليس بصحراء سيناء، كما تقول بعض المصادر ... !

يقال إن قصر قارون كان يقع على الطرف الجنوبي الغربى لبرك منخفض اللاهون الخصب (الفيوم حاليا ، و " فيوم " كلمة مصرية قديمة معناها " بركة " بالعربية). والذى كان يستخدم كخزان لحفظ مياه نهر النيل الزائدة في موسم فيضانه عن طريق ترعة من نهر النيل (تسمى حاليا بحر يوسف). وذلك للاستفادة بالمياه وقت التحاريق في الري والزراعة منذ عصر الأسرة الثانية عشرة (١٨٩٠-١٧٩٠ ق.م). ولقد خلف هذا المنخفض وراءه، بعد معجزة

خسف الأرض، بركة أكبرهى التى يطلق عليها الآن بركة قارون، بمحافظة الفيوم. لم يحدد نص القرآن الكريم زمن هذا الخسف، ولكن سياق الأحداث حدده بالتقريب فى منتصف فترة مواجهة موسى لفرعون ولبنى يعقوب (أى فى حوالى عام ١٢٤٠ ق.م.).

كان قدماء المصريين يسمون هذه البحيرة "حنو مرور" (أى بحيرة مرور) وهو الاسم الذى حرفة اليونانيون، بعد ذلك، إلى بحيرة "موريس". ولفظ " مرور" يدل على اسم بلدة مكان بلدة "كوم غراب" وهى تقع عند منحنى بحر يوسف حالياً. وقيل أن اسم قارون قد أُجيز على البركة، وأن اسمها الحقيقى هو "بركة قرون". ولقد جاء هذا الاسم الوصفى ليصف شواطئ البركة الكثيرة الإلتواءات كالقرون البارزة..... والله أعلم .



الخان الميماوى القدير الذى يمر بهذا الساحل الجنوبي لبحيرة قارون.



بحيرة قارون.

ولقد أثبتت الأبحاث الجيولوجية، وجود كسور فى طبقات تربة أرض هذه المنطقة، مما يدل على وجود خسف حدث بها فى قديم الزمان. إذ يمرّ فالق عظيم حذاء الشاطئ الجنوبى للبركة، ويلف حول طرفها الغربى (حيث كان يقع قصر قارون الكبير) متجها إلى الشمال .

هذا بالإضافة إلى أنه بجنوب البركة يقع وادى الريان المشهور بترائه الطبيعى من حيث وجود الأراضى الرطبة، والتراكيب الجيولوجية، والعيون

المائية. وأيضا الحفريات النادرة بواى الحيتان، حيث توجد هياكل الحيتان والدرافيل والسلاحف البحرية، والتلال الرملية والتنوءات الصخرية من الحجر الرملى، التى تمثل قاع بحر قديم . وكان هذا البحر يزخر بثروات طبيعية لتلك الحقبة التى ترجع إلى ملايين السنين، عندما كان البحر المتوسط يصل إليها قبل تكوين دلتا نهر النيل .

فى الحقيقة إن أرض مصر، وخاصة شمالها، قد مرّت عليها عصور جيولوجية متعددة قبل أن تصبح أهلة بسكانها. وكان نهر النيل، منذ العصور السحيقة، قد إتخذ مجراه الحالى تقريبا، ومعه (قبل مصبه فى الشمال) منخفض " شدت " (الفيوم حاليا) نتيجة لإنفصال فى طبقات الأرض، وكان يشبه الواحة. ونشأت بحيرة عظيمة غطت معظم المنخفض بمياه فيضان النهر السنوى، عن طريق فرع من النيل (بحر يوسف حاليا)، وكان سطح هذه البحيرة منخفض عن سطح البحر المتوسط (أو الروم) بحوالى تسع وثلاثون مترا. وكان نهر النيل يصب شمالا فى البحر المتوسط عند موقع القاهرة الحالى تقريبا، وعلى يمينه جبل المقطم، وعلى يساره هضبة الجيزة. وكانت له عدة روافد فى الصحراء الشرقية. وكان الجنوب الشرقى للبحر المتوسط متّصل بالشمال الغربى للبحر الأحمر (أو القلزم) بواسطة جزء ضيق . وكان الشمال الشرقى للبحر الأحمر واصل شمالا إلى منخفض البحر الميت فى فلسطين. وكانت أرض مصر بها ميل مزدوج : الأول، ميل طفيف من الجنوب إلى الشمال حسب إتجاه نهر النيل .

أما الميل الثانى، فكان أشد إنحدارا، مبتدأ من جبال ساحل بحر القلزم (الأحمر) الغربى ومتجها إلى إقليم الواحات غربا. وأخذ النيل يلقى برواسبه وغرينه عند مصبه مكونا أراضى جديدة (حوالى ٢٢ ألف كيلومتر مربع). وتفرع بها إلى عدة فروع، وثمانية مصبات، منها فرعين رئيسيين (دمياط ورشيد). وسميت هذه الأراضى "الدلتا" لأنها تشبه شكلا، مقلوب حرف دلتا

المتلث في اللغة الإغريقية. وبمرور الزمن جفت روافد النيل في الصحراء شرقا وغربا، ولم يبق منها غير آثار مجاريها في الوديان هناك .

ولم يبق من الوصلة بين جنوب شرق البحر المتوسط وشمال غرب البحر الأحمر إلاّ خليج السويس (القلزم) وحوض بحيرات المنزلة والتمساح والمرة والمستنقعات. كما إنكمش الجزء الواصل من جنوب البحر الميت إلى شمال شرق البحر الأحمر إلى خليج العقبة بشكله الحالي تقريبا .

هزيمة الروم... والوفاء بالعهد

يقول الله في كتابه العزيز :

﴿ اَلَمْ غَلَبَتْ اَلرُّومُ ﴿١﴾ فِيْ اَدْنٰى اَلْاَرْضِ وَهُمْ مِنْۢ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُوْنَ ﴿٢﴾ فِيْ بَضْعِ سِنِيْنَ ۚ لَّيْلَهُ الْاَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُوْنَ ﴿٣﴾ بِنَصْرِ اَللّٰهِ يَنْصُرُ مَنْ يَّشَآءُ ۗ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ ﴿٤﴾ ﴾

(الروم ١-٥)

في عام ٦١٤ م . إستولي الفرس المشركون بقيادة كسرى (خسرو الثاني) علي بعض المدن في الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الرومانية (أي الشام) . ومن أهمها مدينة " أورشاليم " (بيت المقدس بفلسطين حاليا) . وكان ذلك في عصر قيصر الروم هرقل (هيراكليوس الصغير) . حيث ذبحوا سكانها وأحرقوها بعد أن نهبوها وهدموا كنسية القيامة وإستولوا علي الصليب . وقد وصف القرآن الكريم مكان الهزيمة بأدنى الأرض . فأدنى الأرض ليس فقط أقرب الأرض إلى مكة أو العرب وهو أطراف الشام (كما جاء بالمنتخب في تفسير القرآن الكريم) ولكنه يعنى أيضا أخفض الأرض (كما أسلفنا) . فلقد أثبت العلم الحديث أن حوض البحر الميت (وهو الجزء الجنوبي من غور الأردن) هو أخفض الأرض علي ظهر اليابسة (حوالي ٤٠٠ مترا تحت سطح البحر) . وعلي ذلك يكون المقصود بأدنى الأرض بالقرآن الكريم هو أرض فلسطين، كما أسلفنا (راجع صيحة قوم لوط والبحر الميت) .

هذا بالإضافة إلي أن جنوب فلسطين (أي الجزء المحصور بين البحرين المتوسط والميت) كان يُعرف في الماضي بأرض كنعان (كنعان بن حام بن نوح) . ولفظ كنعان باللغة الآرامية وكذلك العبرية تعني الوطىء (كما تعني

أيضاً اللون الأحمر ، كما أسلفنا . وكنع في اللغة العربية تعني مال ونزل أو هبط ، مما يؤكد لغة القرآن الكريم المعجزة....!

ولقد فرح المشركون من أهل مكة (قريش) لهزيمة الروم، وشمّتوا بالمسلمين من أهلها لأن الروم مسيحيون، وأهل كتاب مثل المسلمين .

وفي عام ٦٢٢ م (أي في العام الهجري الأول، وقيل غزوة بدر بعام واحد التي إنتصر فيها المسلمون على مشركي قريش) كرّ الروم علي الفرس وإنتصروا عليهم إنتصاراً ساحقاً بعد حوالي ثمانية أعوام (أي في بضع سنين، كما جاء بالقرآن الكريم، وهي تعني من ٣ : ٩ سنوات) . وهكذا إنتصر أهل الكتاب علي المشركين ، وحقق الله وعده في المدة التي حددها في كتابه المعجز، وفرح المؤمنون بنصر الله الذي ينصر من يشاء وهو الغالب علي أعدائه والرحيم بعباده .

وصدق القرآن الكريم الذي :

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٢٢ ﴾

(فصلت ٤٢)